

حوارات ومواقف

فن الفكر والأدب والتاريخ



نور الدين برقادي

سلسلة حوارات ثقافية (3)

سلسلة تصدر عن دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

المؤلف: نور الدين برقادي

العنوان: حوارات ومواقف في الفكر والأدب والتاريخ

التصنيف: حوارات

الطبعة الأولى: أبريل 2016

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

تصميم الكتاب: د. جمال الجزيري

الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها الدار، الرجاء قراءة التعريف

بمجموعة دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني لمعرفة مواصفات تجهيز الملف:

<https://www.facebook.com/groups/Ketabat.Jadidah.Ebook.Publis>

[/hers](#)

وإرسال الملف وفقا لشروط النشر على إيميل د. جمال الجزيري أو على الخاص في

صفحته على الفيسبوك:

elgezeery@gmail.com

<https://www.facebook.com/gamal.elgezeery>

@2016 حقوق نشر النصوص ملك لأصحابها، وحقوق هذه الطبعة الإلكترونية ملك لدار

كتابات جديدة للنشر الإلكتروني. وكل كاتب مسنول عن لغته وعن أسلوبه وعن محتوى

كتابه وأية منازعات خاصة بحقوق الملكية الفكرية يكون طرفها المؤلف وليست الدار

طرفا فيها.

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016م

دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
رقم الإيداع في دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني
2016/4/6/338

رقم الكتاب في السلسلة: 3

السلسلة: حوارات ثقافية

المؤلف: نور الدين برقادي

العنوان: حوارات ومواقف في الفكر والأدب والتاريخ

التصنيف: حوارات

الطبعة الأولى: أبريل 2016

عدد الصفحات: 285

الناشر: دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني

رقم الإيداع في الدار: 2016/4/6/338

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني. حقوق نشر النصوص ملك لأصحابها، وحقوق هذه الطبعة الإلكترونية ملك لدار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني. وكل كاتب مسؤول عن لغته وعن أسلوبه وعن محتوى كتابه، وأية منازعات خاصة بحقوق الملكية الفكرية يكون طرفها المؤلف وليست الدار طرفاً فيها.



إهداء:

أهدي هذا العمل إلى:

ابني أنس وبيداس، عربون محبة وأمل في
السير على درب الكتابة.

مقدمة

عند مطالعة أشهر المجلات العربية أو مشاهدة أهم القنوات الفضائية الناطقة باللغة العربية، قليلا ما نقرأ أو نستمع لكتاب جزائريين، كأن هذا الوطن لا ثقافة له ولا أسماء فيه تبحث وتكتب في مختلف مجالات المعرفة، والأسوأ من ذلك قلة شهرة كتابنا - حتى داخل وطنهم - أمام الدعاية التي يحظى بها المغني ولاعب كرة القدم، فهناك من ألف أكثر من عشرة كتب دون أن تلتفت إلى ما كتبه أية جريدة ولم تحاوره ولا قناة إذاعية أو تلفزيونية واحدة !

حضور الثقافة الجزائرية عربيا لا يمثل ربع ما تمثله جغرافية الجزائر على المستوى العربي وما يؤلف داخل الجزائر لا يتجاوز حدودها في عصر الانترنت والقنوات الفضائية.

احترام مجهود الكاتب والاحتفاء به يبدأ داخل وطنه، وهو الأهم بالنسبة لأغلب كتابنا، وكم من كاتب

جزائري غادر عالمنا في صمت، دون اهتمام بما قدمه
لثقافة وطنه.

إبراز الأسماء المبدعة في مختلف المجالات من
أهم واجبات الجامعة، الإدارة الثقافية ووسائل
الإعلام، وهذا الكتاب محاولة متواضعة في هذا
الإطار.

نور الدين برقادي

إشمول بباتنة وخنشلة

20 نوفمبر 2013.

مسعود مزهودي، باحث متخصص في تاريخ المذهب الإباضي:

"الإباضية نُسبوا إلى الخوارج ظلماً"

كثيراً ما نرفع شعار "حوار الحضارات والثقافات"، ونرفض أن يكون هذا الحوار داخل الحضارة والثقافة الواحدة؛ فنحن نجهل الكثير عن أقرب الناس إلينا، والذين نختلف معهم في بعض التفاصيل. هذا ما دفعنا إلى محاورة الباحث المتخصص في تاريخ المذهب الإباضي، الأستاذ الدكتور مسعود مزهودي، رئيس قسم التاريخ بجامعة باتنة، والذي سبق له أن قام بإنجاز مذكرتي الماجستير والدكتوراه حول موضوع الإباضية:

كيف جاء اهتمامك بالمذهب الإباضي، على الرغم من كونك سنياً مالكيًا ؟

يعود اهتمامي بالتاريخ الإباضي إلى مرحلة الليسانس؛ حيث تبين لي أن هذا التاريخ يحتاج إلى

نفذ الغبار عنه والمساهمة رفقة إخواني في تسليط الضوء عليه، خاصة وإن إخواني الإباضية يملكون تراثا فكريا وفقهيا تمتلئ به خزائن المخطوطات في وادي ميزاب و ورقلة وجزيرة جربة وجبل نفوسة في ليبيا وسلطنة عمان. أضف إلى ذلك أن أتباع المذهب يعيشون بيننا ومن حقي وواجبي أن أعرف وأدرس تاريخهم وتراثهم الفكري، فتاريخهم هو تاريخنا. أليست الدولة الرستمية أول كيان سياسي مستقل على أرضنا الحبيبة والتي نعتر جميعا بما وصلته هذه الدولة من تطور وتحضر علم به الداني والقاصي. أما كوني مالكيًا فهذا لا يمنعني من الاستفادة من تراث المذاهب الأخرى، فنحن دائما نقول الاختلاف رحمة، ولذلك فإنني لا أحرم نفسي من هذه الرحمة. وأدى جهل الكثيرين للمذهب الإباضي إلى درجة اعتبارهم مخالفين وبعيدين عن السنة وغير ذلك من التهم الباطلة التي ألصقت بهم. وأنا شخصيا أرى بأن المذهب الإباضي هو المذهب الخامس، لأن الخلاف هو في

الفروع وليس في الأصول. وهذه الخلافات موجودة حتى بين علماء وفقهاء المذهب الواحد.

تاريخيا، كيف ظهر هذا المذهب ؟

سياسيا، ينسب المذهب الإباضي إلى "عبد الله بن إباح المريّ التميمي" الذي عاصر الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" 65-85 هـ ، ودينيا يذكر الإباضية أن إمامهم الأول الذي أسس المذهب هو "جابر بن زيد الأزدي العماني". ولذلك فإن أغلب الأحاديث النبوية يرويها علماء المذهب عن "جابر". وأما عن ظهور الإباضية، فيرجع إلى الخلاف الذي حدث بين "عبد الله بن أباض" والخوارج في مسألة الخروج حيث فضل "عبد الله" القعود عن الخروج للجهاد ضد بني أمية، فعرف الخارجون باسم الخوارج والقاعدون بالقعدة. ثم سرعان ما أصبحت للإباضية بعض الآراء التي تميزهم مطلقا عن فرق الخوارج.

كنظرتهم لمخالفهم... وغيرها من الآراء التي لا يتسع
المقام لذكرها.

باعتبارك متخصصا في تاريخ المذهب الإباضي،
ماهي أوجه الاتفاق والاختلاف بين المالكية
والإباضية؟

بصفة عامة الاختلاف بين الإباضية وغيرهم
ليس في الأصول ولكن في بعض الفروع والجزئيات.
ولا ينبغي أن تكون مثار خلاف ونزاع وجدال بين
المسلمين، في وقت هم أحوج فيه إلى الوحدة
والاجتماع والبعد عن الفرقة. من أوجه الخلاف مثلا
عدم رفع الأيدي في الصلاة بل إن منهم من كرهه
لاعتباره من الحركات المنافية للخشوع في الصلاة.
أضف إلى ذلك بعض الآراء المتعلقة بمسألة خلق
القرآن، رؤية الله يوم القيامة، المواريث. وغيرها من
القضايا الخلافية البسيطة.

من أبرز الكتب المرجعية عند الإباضية؛ "مسند الربيع بن حبيب". هلا حدثتنا عنه ؟

"الربيع بن حبيب الفراهيدي"، هو أحد علماء
الإباضية البارزين، ولد في منطقة الباطنة في عمان
في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ما بين
سنتي (75-80 هـ). نشأ في عمان وبها أمضى طفولته
ثم سافر إلى البصرة التي كانت تغصّ بالعلماء في ذلك
الحين، و بها أخذ علوم التفسير والحديث والفقه وبرع
فيها حتى صار من العلماء المعدودين في البصرة،
وبذلك استحق أن يخلف شيخه "أبا عبدة" في رئاسة
الدعوة الإباضية في البصرة.

من آثار الإمام "الربيع" مجموعة من الأقوال
والفتاوى والفقه متناثرة في كتب الإباضية ومن آثاره
المجموعة: كتاب "آثار الربيع" الذي رواه عن شيخه
"ضمام بن السائب" عن "جابر بن زيد" مقطوعا وهو
عبارة عن مجموعة فتاوى للإمام "جابر بن زيد". وقد

قام بجمعها "أبو صفرة عبد الملك بن صفرة". ومن أهم آثاره كتاب "المسند" ويطلق عليه الإباضية "الجامع الصحيح"، وهو مطبوع ومتداول. يرى الإباضية أن مسند "الربيع بن حبيب" من أصح كتب الحديث سندا لأن معظم الأحاديث رواها الإمام "الربيع" عن شيخه "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة" عن "جابر بن زيد" عن أحد الصحابة، وقد وردت في المسند بعض الأحاديث التي رواها "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة" عن آخرين غير "جابر" إلا أنها قليلة.

ولم يُعرف الإمام "الربيع" بين المحدثين من أهل السنة و لم يعرف كتابه ضمن كتب الحديث رغم أنه من أوائل كتب الحديث التي صُنِّفت. توفي الإمام "الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي" ما بين سنة 171 و180 هجرية ودفن في عمان.

أستاذي الكريم، المذهب الإباضي ينتشر في أماكن محدودة؛ وادي ميزاب بالجزائر، جبل نفوسة بليبيا، سلطنة عمان ..، ما هي أسباب هذا التشتت ؟

صحيح أن تواجد المذهب الإباضي ظل في مناطق محدودة في وادي ميزاب وجبل نفوسة وسلطنة عمان وجزيرة جربة بتونس، عكس ما كان عليه الوضع في العصر الإسلامي الوسيط، إذ كان يمتد النفوذ الإباضي من تلمسان غربا إلى طرابلس شرقا ومن تاهرت (تيارت) شمالا إلى غاية وارجلان (ورقلة) جنوبا. ونلاحظ التواجد الإباضي في منطقة الأوراس التي أنجبت "هود بن محكم الهواري"، ومدن بلاد الجريد بتونس (الحامة، نفطة، توزر، قفصة، قسطلية.. وغيرها). وإذا أردنا أن نحلل أسباب هذا الانكماش، فنعتقد أن مرد ذلك يرجع إلى أن الإباضية الآن يعيشون في ظل إمارة الكتمان وعدم توفر الظروف لإعلان إمارة الظهور وبالتالي فههدف الإباضية هو الحفاظ على استمرارية المذهب بين

الأتباع، أما نشره فليس من الأولويات في حين أنه في العصر الوسيط كان المذهب منتشرًا في سجلماسة و أودغشت وبعض المدن السودانية وفق مصطلح العصر الوسيط أي مالي والنيجر وغانا، وليس المقصود السودان اليوم. كما كان المذهب منتشرًا في الأندلس على الرغم من شح المعلومات. وعلى الرغم من ذلك وكما أخبرنا أحد الشيوخ أثناء زيارتنا إلى سلطنة عمان، فإن المذهب بدأ يظهر من جديد في اليمن. والمعروف تاريخياً أن الإباضية كانوا متواجدين بقوة أيام "أبي حمزة الشاري".

تعدّ الدولة الرستمية (الجزائرية) أول دولة إباضية في التاريخ، ماهي دواعي اختيار منطقة وادي ميزاب كملجأ بعد سقوط تيهرت أو تاهرت (عاصمة الدولة الرستمية)؟

فعلا تعد الدولة الرستمية ثمرة محاولات عديدة قام بها الإباضية لإنشاء إمامة الظهور سواء في

المشرق أو في المغرب. وظلت عاصمتها تاهرت من أشهر عواصم العصر الوسيط، خاصة وأنها كانت مركزا مهما من مراكز الثقافة في بلاد المغرب الإسلامي، لا تختلف عن القيروان وفاس وبقية الحواضر العلمية الأخرى. أما عن دواعي اختيار منطقة وادي ميزاب كملجأ بعد سقوط تاهرت سنة 296 للهجرة، فيجب أن نشير في البداية أن المحطة الأولى التي شهدت تدفقا لأتباع المذهب بعد استيلاء الشيعة على تاهرت كانت وارجلان وسدراتة (ورقلة). إذ تذكر المصادر التاريخية أن "يعقوب بن أفلاح بن عبد الوهاب" خرج مع أهله وجمع غفير من التاهرتيين متجهين إلى وارجلان وسدراتة خوفا من البطش الشيعي. ويبدو أن رفقاء "يعقوب" كانوا كثيرين حتى أنه يذكر أنه ولد لهم في الطريق في ليلة من الليالي سبعون ذكرا وفق رواية "الشمأخي" في سيره. وقد استقبل "يعقوب بن أفلاح" استقبالا حارا من قبل الشيخ "أبي صالح جنون بن يمران" متولي أمور

وارجلان وأهل مدينته. وطلبوا منه إحياء الإمامة إلا أنه رفض قائلاً: "لا يستتر الجمل بالغنم"، معبرا عن الضعف الذي حل بهم. وبذلك فضل "يعقوب" إمامة الكتمان على إمامة الظهور. وظل الإخوان على هذه الحال إلى أن ظهر نظام الحلقة والعزابة على يد "أبي عبد الله محمد بن أبي بكر النفوسي".

أما عن انتقال الإباضية إلى منطقة وادي ميزاب، فكان بسبب كثرة الفتن والقتال في سدراتة ووارجلان. ورغم صعوبة المنطقة وعدم صلاحيتها للزراعة إلا أن الإباضية اختاروها ملجأ لهم بعد عمليات التشريد التي تعرضوا لها طوال حياتهم. ولعل طبيعتها تلك هي التي جعلتهم يفضلونها على غيرها حتى لا يزعجهم العرب أو البربر فيحيون حياة تطبق فيها القوانين والأحكام الإباضية حتى لا يتعرضوا لمثل ما تعرضوا له في سدراتة و وارجلان. ويبدو أن انتقال الإباضية إلى منطقة وادي ميزاب تم مع بداية القرن الخامس الهجري، ذلك أنهم أسسوا مدينتهم الأولى التي عرفت

باسم العطف، سنة 402 للهجرة، وسميت بهذا الاسم لانعطافها جانب الوادي. أما المدينة الثانية فهي مليكة، سنة 408 للهجرة، والمدينة الثالثة التي أسسوها هي غارداية، سنة 442 للهجرة. ثم توالى تأسيس المدن الأخرى تباعاً.

عديد الدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب، أسست من طرف مشارقه و فرس. كيف تفسّر ذلك ؟

صحيح أن أغلب الدول المستقلة عن الدولة العباسية التي ظهرت في بلاد المغرب أسسها أفراد لا ينتمون إلى هذه المنطقة، فمثلاً تولى إمامة الدولة المدراية سنة 140 للهجرة "عيسى الأسود" وهو من السودان، والدولة الأدرسية أسسها "إدريس الأول" سنة 170 للهجرة وهو عربي فرّ من المشرق بعد الاضطهاد الذي تعرض له آل البيت هناك. والدولة الرستمية أسسها "عبد الرحمن بن رستم" الفارسي،

سنة 160 للهجرة، وهو من الفرس. تفسير ذلك في رأيي، بالنسبة للدولة الرستمية أن الإباضية اختاروا "عبد الرحمن" لجملة من الأسباب: أولها أن له سابقة في الدين، فهو أحد حملة العلم الخمسة الذين كان لهم باع طويل في نشر المذهب في هذه الربوع، والذي تكون تكويننا سياسيا وعلميا وفقهيا على يد أحد أشهر علماء المذهب في البصرة ألا وهو الإمام "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة". ثانيا أن الإباضية لا يشترطون أن يكون الإمام عربي الأصل، المهم بالنسبة إليهم أن تتوفر في الشخص شروط الإمامة المعروفة (الإسلام، الحرية، العقل، سلامة الحواس والأعضاء، الكفاءة، العلم، الذكورة....) عدا شرط النسب القرشي.

ثالثا وهو أن اختيار "عبد الرحمن" جاء نتيجة لعدم وجود قبيلة يشرف بها ولا عشيرة له تحميه وبالتالي يسهل عزله إذا حاد عن الطريق المستقيم والحق.

في السنوات القليلة الماضية، قدّم أعيان وادي ميزاب احتجاجا رسميا لدى وزارة التربية، لاحتواء الكتب المدرسية على معلومات تربط بين الإباضية والخوارج. كمؤرخ، هل هناك علاقة بين المذهبين ؟

في الحقيقة وبكل موضوعية وإنصافا للحق نقول أن تاريخنا الإسلامي فيه العديد من المغالطات التاريخية يجب تصحيحها. كما يجب إعادة قراءة التاريخ الإسلامي قراءة جديدة بعيدا عن التعصب المذهبي الذي ساد ذلك الزمن بعد أن أنقسم المسلمون إلى أحزاب وشيّع متناحرة. فمن حق الإباضية أن لا ينسبوا مذهبهم إلى مذاهب الخوارج لسبب بسيط وهو إذا رحنا نحدد مفهوما لمصطلح الخوارج، فإننا نجد ثلاثة مفاهيم لا أكثر، أولها: أن هذا اللفظ يطلق على كل خارج على سلطة شرعية وتاريخيا ليس الإباضية وحدهم ممن خرج على سلطة شرعية. ومن المفروض منطقيا أن هذه التسمية تطلق على كل جماعة حاربت إماما اختير بحرية وبُويع البيعة الخاصة والعامة. وفي

تاريخنا الإسلامي هناك العديد من الخارجين لم تطلق عليهم هذه التسمية. ثانيها: إذا كان المقصود بالخروج هو الخروج عن الدين فلا أعتقد أن إخواننا الإباضية ممن يطلق عليهم هذا الوصف بل بالعكس وبحكم اتصالي بهم، فهم أكثر الناس تمسكا بالدين على الرغم من بعض الاختلافات الجزئية البسيطة مع بقية المذاهب، بل يمتازون بالاعتدال وبأقرب الفرق إلى السنة. والدليل بقاء مذهبهم إلى يومنا هذا في حين أن كل الفرق الخارجية الضالة التي تكفر مخالفيها اندثرت ولا نسمع عنها إلا إذا عدنا إلى المصادر القديمة كـ"الفرق بين الفرق" للبغدادي، و"مقالات الإسلاميين" للأشعري وغيرها.

ثالثها: إذا كان مفهوم الخروج هو الخروج للجهاد في سبيل الله، فإن الشرع يحرم الجهاد فيمن ينطق بالشهادتين و الإباضية لا ينظرون إلى مخالفيهم على أنهم غير مسلمين. إذن بعد تحديد المفاهيم يتضح جليا أن الإباضية نُسبوا إلى الخوارج ظلما.

لأبناء وادي ميزاب نظام إجماعي وإقتصادي،
وقضائي.. يختلف عن غيره من الأنظمة، ومن أهم
ركائز هذا النظام؛ مجلس العزّابة. هل من تفاصيل
حول هذا المجلس، والأدوار التي يقوم بها ؟

أولاً، أود أن أشير إلى أن نظام العزّابة أنشئ
كبديل عن إمام الظهور ليتمكن مجلس العزّابة من
تسيير شؤون المجتمع الإباضي. وكما قلت فيما سبق
أن تعرّض الإباضية للعديد من النكبات جعلت شيوخهم
يفكرون في إيجاد نظام جديد يسمح لهم بالحفاظ على
ممارسة مذهبهم بكل حرية، وقيهم شر الأعداء.
فمجلس العزّابة هو الذي يشرف على المجتمع
الإباضي إشرافاً تاماً، وفي مختلف شؤون الحياة. فهو
الأمْر بالمعروف والنّاهي عن المنكر. وهو القاضي
الذي ينصف المظلوم ويدافع عن حقه. وهو الذي يقوم
بإصدار الأحكام في المشاكل التي تقع بين الناس. وقد
تطور هذا النظام بتطور الحياة وأضاف إليه الشيوخ
بعض الزيادات حسب ما تقتضيه الأمور.

ويرجع الفضل في تأسيس هذا النظام إلى الشيخ "أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي". فهو كما يقول "الدرجيني" في "الطبقات": "أول من ألهم سلوك الطريقة التي حفظ الله بها هذا المذهب، فرسم المهمل وقيد الشارد". وقد حدد المشايخ شروط العضوية في مجلس العزابة كحفظ القرآن الكريم، والسعي إلى طلب العلم، وعدم الإكثار في دخول الأسواق والقعود في الجماعات وغيرها من الشروط. يتكون هذا المجلس من إثني عشر عضواً وقد يزيد العدد لتزايد المهام. وكل عضو أو مجموعة أعضاء لهم وظائف معينة هي: شيخ الحلقة (وهو أكبر المناصب في النظام)، إمام الصلاة، المؤذن، ثلاثة أعضاء يقرئون التلاميذ، أربعة أو خمسة أعضاء يغسلون الموتى، وكيلا المسجد، وقاضي البلد.

وخلاصة القول، فإن مجلس العزابة استطاع تسيير المجتمع الإباضي بنجاح؛ حيث فرض طاعته على الناس لكسبه احترامهم، لما رأوه من استقامة

الأعضاء ونزاهتهم وحفاظهم على دينهم، وقوتهم في
النهي عن المنكر ومحاربة الزائغين عن الحق.

أتباع المذهب الإباضي يمارسون التجارة،
كنشاط اقتصادي مفضل. ماهي العوامل التي دفعتهم
إلى التخصص في هذا النشاط ؟

صحيح اشتهر الإباضية بممارسة التجارة وبطلب
العلم كذلك، وهذه الميزة اكتسبوها عبر التاريخ، فأغلب
أنتمهم في الدولة الرستمية كانوا يمارسون الحكم
والتجارة في الوقت نفسه. كالإمام "أفلح بن عبد
الوهاب" مثلاً. أضف إلى ذلك العديد من العلماء الذين
كانوا يسافرون إلى بلاد السودان للتجارة والدعوة.
والمعروف أن التجارة مربحة وعوائدها المالية كبيرة
وبالتالي تساهم في تقوية عضد الإباضية وتمكنهم من
حل مشاكلهم الفردية أو الجماعية. وأعتقد أنه لا يوجد
إباضي بطل أو معوز، فالتكافل الاجتماعي قوى جدا
بين الإخوان.

أستاذ مزهودي، هناك من يقول بانغلاق المذهب
الإباضي على نفسه، هل توجد دعوة لنشر الإباضية
بغرض كسب أنصار جدد، مثل ما تقوم به أغلب
المذاهب الدينية؟

المعروف تاريخيا أن الأقليات دائما تكون منغلقة
على نفسها لكي تحافظ على خصوصيتها العرقية أو
الدينية. والإخوان الإباضية لا يشذون عن القاعدة،
ولكن المشكل أننا لا نحاول أن نتقرب منهم لهاجس
نفسي تراكم مع التاريخ. ولو سألت أي شخص مهما
كان مستواه الثقافي هل تعرف شيئا عن الإباضية؟ لن
يزيدك أكثر من بني ميزاب، لأن منظومتنا التربوية لا
توضح حقيقة هذا المذهب على الرغم من أنه جزء من
تاريخنا، وساهم في بناء حضارتنا، وأنشأ أول دولة
على ترابنا. أما فيما يخصني كشخص فلا أشعر بهذا
الانغلاق وتعاملت مع الإخوان في إطار البحث كثيرا،
وصلّيت في مساجدهم ولدي علاقات جيدة جدا معهم
سواء في وادي ميزاب أو في ليبيا أو في سلطنة عمان.

أما بخصوص وجود دعوة لنشر الإباضية بغرض كسب أنصار جدد، فأعتقد وكما قلت سابقا أن الإخوان يعملون جاهدين للحفاظ على استمرارية المذهب بين أتباعه الحقيقيين الحاليين، أما العمل على نشره فهذا ليس ضمن الأولويات في الوقت الحالي.

معهد الحياة بالقرارة (غرداية) ، منارة من منارات العلم بالجنوب الجزائري، في السنوات الأخيرة، لم نسمع شيئا عن نشاطه. هل انتهى دوره التربوي ؟

حقيقة، معهد الحياة بقرارة يعدّ معلما من معالم الفكر والثقافة، فمنه تخرج العديد من الشيوخ والعلماء، وكان يفد إليه طلاب العلم من مختلف الأماكن حتى من خارج الوطن. ولا زال يلعب الدور المنوط به في صمت، ويواصل رسالته التي أنشئ من أجلها، لكن الغياب الذي تتحدث عنه هو غياب في الإعلام بمختلف أنواعه. وفي سنة 2009، تم تدشين المعهد الجديد

وحضرته شخصيات دينية وعلمية من داخل وخارج الوطن، وما هذه التوسعة في الهيكل إلا دليل على أن نشاطه تضاعف خاصة مع الجمعيات الثقافية التي تتعاون معه في تحقيق المخطوطات وفي إثراء مجلة المعهد.

مؤخرا، حدثت فتنة ببرّيان، هل للاختلاف المذهبي دور في وقوع المواجهة ؟ وهل حدث ذلك في الماضي ؟

المعروف أن الدين الإسلامي هو دين تسامح، دين يكفل حرية العبادة لمختلف أتباع الديانات الأخرى. وبحكم تخصصي في التاريخ الإسلامي لم أقرأ يوما عن اضطهاد المسلمين للنصارى أو اليهود الذين كانوا يعيشون بينهم، اللهم بعض الواجبات التي أقرها الشرع تجاههم. والمحيّر فعلا أن المسلمين كمذاهب دينية لا يتسامحون بينهم؟؟؟ ولو قرأت كتاب "الصراع المذهبي في أفريقية" لـ "عبد العزيز المجدوب" لرأيت

العجب، لأنه ببساطة هناك فكرة متجذرة في عقولنا وهي إلغاء الآخر، ونحن على حق وغيرنا على باطل. فنحن المسلمون لدينا مشكلة عويصة في التعامل مع الآخر. إن الفتنة التي تحدث عنها شيء مؤسف جدا والفتنة أشد من القتل، ولا شك أن للاختلاف المذهبي والاختلاف الاجتماعي كذلك لهما دور في هذه الفتنة نسأل الله أن ينتقم من مثيريهما.

كيف ينظر المذهب الإباضي إلى الثقافة و الفن ؟

المذهب الإباضي كغيره من المذاهب الإسلامية ينظر إلى الثقافة والفن نظرة ترتقي بالإنسان إلى المعالي وفق مبادئ الشريعة السمحاء. فالثقافة والفن الهادف هو الذي يسمو بالإنسان إلى عالم المثل.

في سنة 2007، أطلقتكم موقعا الكترونيا، يضم العشرات من الكتب الالكترونية. كيف جاءكم الفكرة ؟ وماذا عن ردود أفعال جمهور الانترنت ؟

فعلا، أطلقت موقعا الكترونيا يهتم بالأبحاث والدراسات التاريخية، موجها إلى طلبة أقسام التاريخ في الجامعات الجزائرية. والهدف من الموقع هو: أولا مساهمة العصر بفتح نافذة لي كأستاذ جامعي أطل من خلالها على العالم لأتواصل مع زملائي أساتذة أقسام التاريخ في العالم العربي، وفي الوقت نفسه لأشجع طلبتي على البحث بتوفير مكتبة تاريخية ستضم أكثر من ألف كتاب، والعديد من المقالات والأبحاث، وثانيا لأبرز فيه نشاطاتي العلمية، وأنشر فيه مقالاتي وكتبي، فزكاة العلم تبليغه للناس كما يقول فقهاء المالكية. والحمد لله، فزار الموقع كثيرون والمسجلون فيه من مختلف المدن الجزائرية والعربية أكثر. المشكل الذي أعاني منه هو عدم وجود مهندس كفاء يتولى تطويره من حين لآخر.

نشر بجريدة الخبر الأسبوعي: 13 جانفي

2010.

الباحث في الفكر الأركوني الأستاذ فارح

مسرحي:

"أركون نبّه إلى ضرورة التمييز بين الحادثة

المادية والحادثة العقلية"

يرى الأستاذ فارح مسرحي، أستاذ الفلسفة بجامعة باتنة ومؤلف كتاب "الحادثة في فكر محمد أركون" الصادر صدر 2006، بأنّ النقاش حول المشروع الفكري للأستاذ محمد أركون لم يبدأ بعد، وينادي بضرورة زرع الثقة بين الفكر العربي الإسلامي المعاصر وجمهوره من جهة ومن جهة ثانية استقراء مشاكل هذا الجمهور وتشخيصها في جزئياتها ثم البحث لها عن الحلول المناسبة، ويرفض تشبيهه نقد أركون للعقل الإسلامي بنقد المستشرقين لهذا العقل:

أثير النقاش حول أفكار محمد أركون، عقب رحيل هذا الأخير عن هذا العالم، ما رأيك في مستوى ومحتوى هذا النقاش؟

أعتقد أنه لم يفتح بعد نقاش حقيقي وموضوعي حول فكر المرحوم محمد أركون، وكل ما تلا وفاته يعد من قبيل ردود الأفعال البسيطة والسطحية التي لم ترق إلى المستوى الذي يليق بمقام الرجل، فقد مرت وفاته كمجرد حدث بسيط في وسائل الإعلام الجزائرية عدا الملفين الذين خصصا له من قبل جريدتي *débats* و *les* والجزائر نيوز في ملحقها الثقافي الأسبوعي – الأثر- بالإضافة إلى الندوة التكريمية التي خصصها له معهد العالم العربي بباريس والتي حضرتها شخصيات فلسفية فكرية وإعلامية متميزة على رأسها الفيلسوف الفرنسي الكبير إدغار موران .

وكما هي العادة عندنا، فحال المفكرين بعد وفاتهم تكون في الغالب أحسن من حالهم أثناء حياتهم فعلى

التريث والانتظار حتى يتم تداول وتناول الفكر الأركوني بالتحليل والنقد على صعيد أكثر اتساعاً وأكثر أكاديمية من خلال الندوات والملتقيات الفكرية والدراسات العلمية الموضوعية، إذاك يمكننا الحديث عن تقييم لمحتوى هذه الدراسات وما تتضمنه من نتائج قد تسمح بتقييم المشروع الفكري لمحمد أركون .

خلال هذه السنة رحل عمالقة الفكر المتنور في العالم العربي: نصر حامد أبو زيد، محمد عابد الجابري ومحمد أركون، هل من السهل تقدير وتعويض الفراغ الذي تركه هؤلاء؟

بالفعل، فرحيل هؤلاء المفكرين يعد خسارة كبيرة للفكر العربي الإسلامي المعاصر ولكن الإشكالية المطروحة ليست متعلقة بالفراغ الذي تركوه، لأن هؤلاء قاموا بدورهم كما ينبغي وعبروا عن مطالب مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر العربي والمجتمعات العربية الإسلامية، وهي المرحلة المتسمة

بانبثاق العديد من المشاريع الفكرية التي حاولت الإجابة عن سؤال التراث والحداثة. وفي رأيي فالفكر العربي الإسلامي المعاصر كان بحاجة منذ عقدين من الزمن إلى الشروع في مرحلة جديدة هناك من يسميها – النهضة العربية الثالثة – وهذا بعد الفشل النسبي لأغلب هذه المشاريع وعدم وفائها بوعود أصحابها من تحديث وتنمية وإقلاع حضاري و خلاص نهائي... الخ.

إذن، فالأمر لا يتعلق بوفاة مفكر أو آخر بقدر ما يتعلق بنهاية مرحلة، وضرورة السعي لتأسيس مرحلة جديدة على أنقاض المرحلة السابقة، وهذا لا يعني بالضرورة إحداث القطيعة مع ما سبق، إنما يعني إعادة قراءته وتقييمه وبيان أسباب فشله ثم الشروع في إرساء قواعد فكر عربي جديد بأهداف جديدة تناسب آمال وتطلعات مجتمعاتنا، لذلك فبدل البحث في سد الفراغ الذي تركه الراحلون يجب البحث في سبل تجاوز العوائق التي حالت دون نجاح مشاريعهم الفكرية في أرض الواقع، ولعل العائق الأكبر يتمثل في

انقطاع التواصل بين النخبة المثقفة وال جماهير الشعبية،
فنسبة كبيرة من هذه الجماهير لا تعرف محمد أركون
ولا نصر أبو زيد ولا الجابري ولا العروي ولا هشام
جعيط وغيرهم كثر، وإن حدث وأن عرفتهم فلا تتعدى
هذه المعرفة مجرد نتف مبعثرة لم يتبين بعد غثها من
سمينها.

إذن، فالفكر العربي الإسلامي المعاصر مطالب
أولا بزرع الثقة بينه وبين جمهوره وثانيا باستقراء
مشاكل هذا الجمهور وتشخيصها في جزئياتها ثم
البحث لها عن الحلول المناسبة بعيدا عن لغة الخلاص
النهائي والتحرير الأكبر للطبويات التي تدّعي قول
كل شيء دون أن تقول أي شيء.

بمناسبة حصوله على جائزة ابن رشد للفكر
الحر، اعتبر المفكر الراحل محمد أركون، التوحيدي
بمثابة أخ حميم لأنه كان مفكرا ثائرا، ماذا يجمع بين

الفكر والثورة من جهة والتوحيدي وأركون من جهة أخرى؟

بالنسبة للشق الأول من السؤال، من الصعب توضيح العلاقة بين الفكر والثورة في أسطر معدودات، فنحن أمام مفهومين فلسفيين عميقين ومتسعين إلى درجة يتعذر معها الإحاطة بالعلاقة بينهما إلا من خلال مدرسة فلسفية أو فيلسوف بعينه. وقد خاضت الفلسفات الماركسية والوجودية والبراغماتية في ذلك أيما خوض. غير أنني سأستعين بأحد أقطاب الإستيمولوجيا الأنجلوسكسونية المعاصرة وهو توماس كوهن الذي تحدث عن كيفية انبثاق النظريات العلمية الجديدة، وما يصدق في حقل العلوم الدقيقة قد يصدق بقدر كبير في الحقل الاجتماعي السياسي، فالثورة تحدث نتيجة عجز الفكر السائد عن حل الأزمات وتحقيق تطلعات الشعوب، ومن جهة أخرى، فالثورة باعتبارها تعبيراً عن إرادة التغيير مهما تكن سبل هذا التغيير، لا تكون فعالة في تحقيق أهدافها إلا إذا كانت موجهة من قبل

منظومة فكرية أو إيديولوجيا محددة ومن هذا الوجه يكون الفكر أداة للثورة سابقة وموجهة للثورة، أما الوجه الآخر للعلاقة بين الفكر والثورة فيتجلى في كون الثورة تسمح بانبثاق أفكار جديدة وتفتح المجال لقيام أنماط تفكيرية أخرى وهو ما يدعوهُ توماس كوهن بظهور باراديغم جديد محل الباراديغم القديم العاجز عن الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الواقع الاجتماعي والسياسي. وهنا تصبح الثورة أساساً لظهور إمكانات فكرية جديدة.

أما بخصوص الشق الثاني من السؤال والمتعلق بعلاقة أركون بأبي حيان التوحيدي فمعلوم لدى دارسي الفكر الأركوني اهتمامه بما يسمى قديماً بالأدب العربي والذي يتسع مدلوله ليشمل معارف متنوعة ومتعددة من لغة وفن وفلسفة وتاريخ، وتركز اهتمامه بشكل خاص بمن سماهم الأنسنيين **les humanists** على غرار الجاحظ والتوحيدي ومسكويه، ويرى أن هؤلاء كان لهم فضل سبق في تأسيس نزعة إنسانية وعقلانية

منفتحة متحررة قبل أزمنة النهضة والحدثة الغربية وكثيرا ما ردّد أركون أن التوحيدي مثل أبيه أو أخيه أو خليله حتى أنه قال في أحد حواراته " اشنقوني مع التوحيدي ولا أبالي" وأعتقد أن الحبل السري الذي يجمع أركون بالتوحيدي يتمثل في الاهتمام بقضايا الإنسان والمعاناة من فقدان التواصل مع الأصدقاء قبل الأعداء نتيجة مواقفها الجزئية والمفعمة بنزعة التمرد ضد كل ما هو قائم، والهوة الفاصلة بين الفكر والسلوك لدى الخاصة قبل العامة....، والمجال لا يتسع للتفصيل في هذه المسألة التي تحدث عنها أركون مطولا في كتابه "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد".

ويبدو أن العلاقة بينهما توطدت أكثر حتى بعد وفاة أركون، حيث كان التوحيدي يقول: ليس الغريب غريب الأوطان، إنما الغريب من في وطنه غريب، فبعد الغربة التي عاشها أركون فكريا وروحيا في حياته، انضافت إليها غربته الجسدية بدفنه خارج وطنه (الجزائر).

ذكر أركون في نفس المناسبة، بأن اللغة العربية انفصلت عن معجمها الفلسفي وطفى عليها الخطاب الأيديولوجي، هل المقصود هنا بالخطاب الأيديولوجي الفكر الديني؟

من الصعوبة فصل أفكار أركون عن بعضها البعض، فهي تشكل منظومة فكرية متلازمة متسقة، وهو لا يتحدث عن اللغة العربية بصورة معزولة، إنما يربطها ضمن ما يسميه بالمثلثات الأنثربولوجية بالفكر والمجتمع ويدرس ذلك ضمن منظور يستحضر بقوة المعطى التاريخي. فاللغة تتأثر بالفكر وبالمجتمع فيتسع معجمها أو يضيق باتساع الأطر الاجتماعية للمعرفة التي تحدد ما يمكن التفكير فيه وما لا يمكن التفكير فيه في كل مرحلة تاريخية. ومن ثمة فالفكر العربي واللغة العربية عرفا عصر ازدهار وتفتح وإبداع في القرون الهجرية الخمسة الأولى ثم سادت نزعة التقليد والتكرار والتضييق على الفكر فتقلص مجال المسموح التفكير فيه وتحجرت الأطر الاجتماعية للمعرفة،

وأصبحت الكثير من القضايا من قبيل المستحيل التفكير فيها مع أنها كانت مفكرا فيها قديما. إذا فالمقصود من كلام أركون هو طغيان التقليد وذلك في شتى المجالات وعلى رأسها المجال الديني.

"الركون إلى الجاهز" تهمة موجهة للتيار الديني "التراث" وللتيار العلماني "الحدثة الغربية"، كيف يمكن إيجاد نقاط تلاقي بين التيارين المتصارعين؟

الركون إلى الجاهز ليس عيبا في كليته، إنما العيب في الاعتقاد أن لا سبيل للتغيير إلا ذلك السبيل، لأن ذلك من شأنه تضيق مجال الحرية وإغلاق باب الإبداع، مع أن التغيير الحقيقي والفعال يتطلب معرفة دقيقة بالواقع وإطلاعا عميقا على الماضي وعدم الاكتفاء بأحد الطرفين دون الآخر. وإيجاد نقاط الالتقاء بين التيارين يتطلب أولا توفر إرادة الالتقاء لديهما كخطوة أولى، وهي فيما نعتقد غائبة لأن كل طرف

متمسك بأطروحته معتقدا أنها الأصح أو الأنجع ومن ثم يتعذر في هذه المرحلة – على الأقل – الحديث عن تقارب بينهما خصوصا إذا استحضرنا مسألة كون الهدف الأساسي لكلا التيارين سواء أعلننا عنه أو أحجما يتمثل في السعي للوصول إلى السلطة واحتكارها، وهو ما يزيد في اتساع الهوة بين الطرفين.

العقل الإسلامي يرحّب بالسلع المادية الغربية ويرفض الأفكار التي أنتجت تلك السلع، لماذا ذلك ؟

كثيرا ما نبه أركون إلى ضرورة التمييز بين الحادثة المادية والحادثة العقلية مشيرا إلى الازدواج الذي يطبع موقفنا من الحادثة حيث نقبل منتجاتها ونرفض أسسها، ورغم أهمية هذا الطرح إلا أننا نعتقد أنه لا يمكن القبول بالحادثة العقلية بصورة مطلقة لأن هناك خصوصيات حضارية للمجتمعات لا يمكن تجاهلها، ومن ثم فالتعامل الإيجابي مع الحادثة يتطلب

الحذر واليقظة وتوفر الفكر النقدي المتحرر من عقدة
النقص اتجاه الآخر وعقدة الشعور بالعظمة تجاه الأنا.

هناك من يقول بأن نقد أركون للعقل الإسلامي لا
يختلف عن نقد المستشرقين لهذا العقل، كباحث في
فكر أركون، هل توافق هذا الرأي ؟

أولا لا يمكن رمي كل المستشرقين في سلة
واحدة فهم لا ينطلقون من نفس المنطلقات ولا توجههم
نفس الموجهات، فالاستشراق ظاهرة لها تاريخ وقد
مرت بمراحل وتطورت كثيرا سواء في مناهجها أو
في مواقفها ومن ثم فمقاربة المستشرقين أو علماء
الإسلاميات **les islamologues** لموضوعاتهم
تختلف من فترة زمنية لأخرى ومن مستشرق لأخر.
وأبحاث أركون أو مشروعه في نقد العقل الإسلامي
تتداخل مع أعمال بعض المستشرقين في نقاط معينة
وتختلف معها في نقاط أخرى، نقول هذا مع العلم أنه لا
يخلو عمل لأركون إلا وانتقد فيه الاستشراق وأشار

إلى الاختلافات التي تميز أعماله عن أعمال هؤلاء العلماء وتتركز هذه الاختلافات في نقطتين أساسيتين هما: الاختلاف المنهجي، إذ يأخذ أركون بمنهج العلوم الإنسانية والاجتماعية في طبعها المعاصرة في حين يعتبرها المستشرقون موضة عابرة متمسكين بمنهجهم الكلاسيكية خاصة فقه اللغة والتاريخ السردى، الاختلاف الثاني الذي يفصل مشروع أركون عن الاستشراق يتمثل في عدم الاهتمام بحاضر المجتمعات العربية الإسلامية المدروسة، ففي حين يركز هو على ربط مشاكل الحاضر بماضي هذه المجتمعات ويحاول إيجاد الحلول المناسبة لها، يعتبر أغلب المستشرقين أن عملهم لا يتعدى دراسة التراث أو الماضي.

كمسلمين، لماذا نرعبنا كلمة نقد ؟

ليست المسألة مقتصرة على المسلمين أو خاصة بهم، فالنفور من النقد شعور عام لدى أي إنسان، لأن هناك علاقة حميمية تربط الإنسان بأشياءه وأفكاره

وماضيه وكل ذلك يشكل هويته، والنقد ينصب على هذه الأبعاد مما يجعل الإنسان يشعر بالخطر من تزعزع أو حتى فقدان هويته، خصوصا إذا كان هذا الإنسان في موقع ضعف اقتصادي وسياسي كما هو حال المسلمين الآن، فلا بد من تفهم عدم تقبل النقد بسهولة، ومع ذلك يمكن تغيير الوضع شيئا فشيئا وهذا بالانخراط في عملية النقد الذاتي أو العودة النقدية على مسار الذات وتاريخها وتراثها، فالنقد الذاتي أولا؛ أخف وطأة من نقد الآخرين وثانيا يسمح للذات باستعادة الثقة في نفسها وبعناصر هويتها وبالتالي تجاوز مرحلة الخوف على فقدان هذه الهوية وفتح مجال النقاش والنقد حول كل المواضيع بما في ذلك الأكثر حميمية أو الأكثر تقديسا، والتغيير يصبح ممكنا إذا غير الناس ما بأنفسهم.

نشر بجريدة النصر: 02 نوفمبر 2010.

الكاتب السعيد بوطاجين:

"مدننا عادلة في توزيع الحزن والقنوط والغبار

والصخب والخبث"

"من المؤسف أن تتحول بعض الجامعات إلى

مصانع لتقوية البؤس والمآسي"

يهجو الكاتب المبدع سعيد بوطاجين مدنا لا

تترك أثرا في روحه وينبه - في هذا الحوار - إلى خطر

التدهور الذي تعاني منه بعض الجامعات. وي طرح

مترجم نجمة كاتب ياسين قضية الاستغلال غير الأدبي

لرواية الكبلوتي، إلى جانب قضايا أخرى يثيرها

بعفويته وصراحته المعهودة وغضبه المستديم:

تاكسانة، مسقط الرأس والفؤاد، خصصت لها

كتابا، وهي دائمة الحضور في مقالاتك؛ حيث وصفتها

في إحدى المرات بمدينة الكرز والملائكة، كيف قضى

السعيد بوطاجين طفولته بهذه المدينة ؟

هذه القرية هي أفضل جامعة وأحسن كوكب عرفتة. ما زلت أعدّها قطعة من مجرّة بهية مليئة بالعفوية. لقد زرت مدن الناس وتشرّدت. عرفت ناسا مهمين وشخصيات مرموقة وفنادق فخمة، لكنني أدركت، مع الوقت، أن لا شيء يعوّض تلك العلامات العظيمة التي أثّرت طفولتي بسعادات لا حدّ لها. كان أهلي فقراء، وقد خرجنا من الثورة بعناقيد من الشهداء الذين ينامون الآن مطمئنين في مقبرة قرب بيتنا. هؤلاء جزء منّي ومن ذاكرتي، كما اليرقات والتربة والناس التعساء وحكايات الجدات والنسوة وجبل صندوق الذي يحرس القرية ويحفظ آلاف القصص.

لم أعش طفولتي كالمحظوظين من أبناء البلد، وما أكثر هؤلاء، كنت بائسا جدا ومقهورا كأكواخ الطين والديس، لكنني تعلّمت كثيرا من فقر الناس ويتمهم، ومازلت، إلى اليوم، أجرّ معي تاكسنة حيث يّممت. إنها وطني الآخر المليء بالتوت والكرز والله والملائكة،

وهي مائي وحدائتي الحالية والآتية.
الجزائر العاصمة، باريس، تيزي وزو، ميلانو،
خنشلة، أم البواقي، تبسة، بسكرة، جيجل.. حقائق
كتبت على أوراق أشجارها خلال رحلتك الأكاديمية
والإبداعية. ما هي خلاصة هذا الترحال؟ وما هو
المكان الذي أثر فيك أكثر؟

علاقتي بالأمكن سيئة جدا، خاصة إذا كانت
متخصصة في صناعة الفناء، مثل مدننا قاطبة. بي
حنين إلى مدن الغرب وبعض المدن العربية الدافئة،
المليئة بالتاريخ والإحالات الدالة. أما مدننا فهي عبارة
عن أشباح. إنها قاسية ومخيفة وميتة، ميتة ومرعبة.
أخرج من هذه المدن منهكا، ولا تبقى في رأسي سوى
ذكريات معدودة. لا يمكن الحديث عن مفاضلة بين هذه
الأمكن، لأنها عادلة في توزيع الحزن والقنوط والغبار
والصخب والخبث.

أميل كثيرا إلى رمال الجنوب وفراغه الرائع، إن كان هناك فراغ. هناك أشعر أنني أمتلك نفسي، ولو قليلا. وهناك أبصر أفضل. أرى الحيز على حقيقته وأرى التاريخ والمدّ والعدم ورحلة الوقت والموت. أمّا عن خلاصة الترحال فلا شيء. قبضة ريح مضروبة في قبضة ريح أخرى. عبث حقيقي وأوهام لا حصر لها. أدركت أن لا شيء يعوّض الحياة التي مرت بقربي بسرعة، دون أن أحيها.

"ما حدث لي غدا"، "وفاة الرجل الميت"،
"اللغة عليكم جميعا"، "حذائي وجواربي وأنتم"،
"أعوذ بالله"، "تاكسانة، بداية الزعتر آخر جنة"...
هذه بعض عناوين إبداعاتك، ما نوع التربة التي
تصنع منها لغتك؟

أبحث باستمرار عن الطاقة الكامنة في اللفظ، كما يفعل الشعراء الجادون. هناك دائما إمكانات تعبيرية وشحنات دلالية يمكن استثمارها تأسيسا على الحفريات

وتفعيل الطاقة الذهنية. يمكن للسياقات أن تمنح الكلمة قوة تأثيرية أخرى، معنى آخر. وهناك المفارقات التي اشتغل عليها لتعليق المتلقي بمجانبة أفق الانتظار أو خرقه. أرى ذلك مهمًا وذا قدرة على إثارة أسئلة تجعل النص حيًا، قابلاً لمجموعة من القراءات التي تهتم بالمعنى والشكل الناقل له .

أميل إلى قدرات البلاغة وما تتطلبه من اجتهاد بحثاً عن إمكانات ابلاغية مفارقة للمعيار المتواتر. الألفاظ محيطات، ولكل سياق خصوصية معجمية وطريقة في التعامل معها. أمّا العدول عن الأنماط فأعتبره إحدى هذه الطرائق الممكنة، بشرط أن لا يكون مجرد ترف ذهني لا وظيفة له، مجرد ادعاء زائف يعتقد أنه يدخل في باب التجريب أو الحداثة. أنا لا أميل إلى هذه الرؤى التي لا تنبني على منطق مؤسس لسانيا وجماليًا ودلاليًا ووظيفيًا.

الأزمة عند السعيد بوطاجين متداخلة وتفقد
لترتيب الواقعي (ماضي، حاضر، مستقبل)،
وكمجتمع يمتد عندنا الماضي إلى الحاضر وجزء من
المستقبل، برأيك متى نخرج من التاريخ ونساهم في
صناعة التاريخ؟

عادة ما أفكر كثيرا في مسألة الأزمة، كما تحدث
عنها الروائيون وعلماء السرد، أو كما استقبلها خطأ
بعض كتابنا وأسندوها إلى الحداثة. هناك مغالطات
مفهومية ناتجة عن قصور في استيعاب النظريات
الغربية ومختلف الاجتهادات.

الترتيب الواقعي له وظيفته، وللزمان المركب
وظيفة إن تم استثمارها جيّدا، في علاقة بنية
الشخصيات المعقدة بالبنية النصية كمنتوج يعكس حالة
سديمية ما، أو حالة من الغموض والاضطراب
والتشظي. كما أشارت إلى ذلك الدراسات الغربية التي
أصدرت عن تجربة. قد تكون لهذه البنية علاقة

بالسيرورة التاريخية التي أشار إليها محمد أركون
بكثير من الصفاء.

قلت لي متى نخرج من التاريخ لنصنع التاريخ؟
إن أنا فهمت سؤالك فنحن خارجون عن التاريخ منذ
قرون. ربّما انتهى عقلنا مع مقدمة ابن خلدون
واجتهادات المناطق. ومنذ ذلك الوقت ونحن نحفظ ،
مهملين قوّة الموروث وقيّمته، غير أبهين بالعقل. ولم
تستطيع الاستثناءات أن تكون مؤثرة.

كل الأنظمة العربية ضد البحث وضد العقل،
الجامعات كذلك. نحن بصدد صناعة أجيال لا يهتمّها
الفكر. ولا يمكن في حالتنا نحن، الحديث عن شيء
اسمه صناعة التاريخ. يبدو هذا التفكير أسطوريا وغير
مقبول، واقعنا لا يشجع سوى على هجرة الأدمغة، ولو
إلى الجحيم، أما هذه الجامعات فإنّها تشبه مقرات
الحزب الواحد، هناك حيث تضطهد الروح والكلمة. مع
ذلك أحيي بعض المؤسسات العربية وبعض

الشخصيات التي تحاول إخراجنا من هذا الجحيم الذي ينتشر بسرعة فائقة.

ذكرت في الندوة التكرمية المقامة على شرفك بالمركز الجامعي بخنشلة سنة 2009، ذكرت مايلي:
".. إذا كانت هناك كتابة متشردة في البلد، فإنها كتابتي قاطبة، لم يحدث أن كان لي مكتب أو غرفة أو حيز أو جغرافيه. كتبت متسكعا، على الحجر وعلى ركتبي وفي بيوت الناس وفي السيارة وفي المقاهي.."، هل لهذا التشرد الكتابي إجابيات ؟

ما زلت أستقبل طلبة الماجستير وقسم الدكتوراه في الرواق وفي ساحات الكليات التي مررت بها لا توجد مكاتب خاصة لذلك. ولم يحدث أبدا أن تحصلت على مكتب أشتغل فيه طيلة السنوات الثلاثين التي قضيتها مدرسا وباحثا. هذا أمر متعب ومشين. أما اليوم فلست بحاجة إلى متر واحد. ألفت التسكع. لقد غدا

جغرافيتي التي لا يحدها حد. تكفيني حقيبتني وأصابعي.
الحمد لله.

بالمناسبة، أنا ممتن لمن فكر في الندوة التكريمية،
مع أنها عادت عليّ بخسارة كبيرة. هناك ناس في هذه
الدنيا يريدون أن تكون كسولا وثرثارا وذليلا. وهناك
من يحبون موتك، وسيكونون سعداء جدا لو حدث ذلك
في أقرب وقت ليقرأوا عليك الفاتحة بالعبرية الفصحى.
أقول لهؤلاء لا يشرفني أن تمشوا في جنازتي،
ستفسدون عليّ موتي. الإيجابيات؟ قد تعيش الأحداث
والوقائع ككاتب معني بهذا الدمار لأنك قريب منه،
لأنك فيه. وسيكون ما تكتبه صادقا في جهة ما ومؤلما،
رغم التجليات الساخرة التي ليست سوى جزءا من
المأساة الكبيرة التي تقوّض كل شيء، كل شيء، ومن
المؤسف حقا أن تتحول بعض الجامعات إلى مصانع
لتقوية البؤس والمآسي.

في العشريتين الماضيتين اختار عديد الكتاب ركوب الطائرة أو الباخرة صوب برودة أوروبا أو حرارة الخليج، ما هي مبررات بقاء السعيد بوطاجين في وطن أصبح فيه الشرف لغير أهل القلم ؟ الناس أحرار في خياراتهم، ومن يعيشون خارج البلد ليسوا أقل وطنية من الذين ينهبون الوطن من الداخل، ويعيثون فسادا من الداخل أيضا. الكتاب والمثقفون الذين هاجروا الجزائر لهم مبرراتهم وقناعاتهم. لم يختلسوا أموال الأمة. وهذا مهم. علينا أن نهتم بأولئك الذين أخذوا معهم البنوك بدلا من محاكمة الأقلام المتشردة في بلدان الناس، مطرودة من بلدانها. يحدث أن يشعر الإنسان بأنه مهاجر غير شرعي في بلده. وهذا هو إحساسي في السنين الأخيرة: وهو شعور عام لا يمكن إخفاؤه، الناس كلهم "حراقة" في هذه الجغرافية التي تحبس أنفاسك بالخطب المتدنية والممارسات المنحطة، في السياسة والدين والاقتصاد والتسيير.

أشرت في الخبر الأسبوعي إلى أن الذين ذهبوا إلى أوروبا وأمريكا ودول الخليج كانوا أذكاء ومحظوظين، ولا داعي للأسف.

أنا أصاب بالغثيان عندما أسمع الحديث عن استرجاع الأدمغة. يبدو لي هذا الكلام رديئا ومقززا. لماذا لا نتركهم وشأنهم؟ كأننا نبحت عنهم ليتقاسموا معنا بؤسنا. لا غير، ليصبحوا متدنيين ومنحطين وغير منتجين ونمامين.

أنا أفكر جديا في مغادرة البلد، ولن أندم على ذلك. شبت، كما يقال في تعبيرنا الشعبي، لا يمكن أن أستمر أكثر. أرض الله واسعة. المؤكد أنني سأتهم بقلّة الوطنية. لقد سئمت هذه الكلمة التي استثمرت لأغراض دنيئة. هناك ناس وطنيون جدا يملأون معداتهم بأرزاق الفقراء واليتامى ويذهبون إلى المناصب السامية وإلى المساجد. لكنهم لا يعرفون الله والوطن. هذا هو واقعنا ومنطقنا، وهذا طيننا.

كتبت مؤخرا في جريدة وطنية: "أشعر بخجل
مرّ عندما أفكر في الجيل الذي سيأتي بعدنا، بعد جده
السعيد بوطاجين ومشتقاته وحاشيته ومن لف لفه،
لقد أعدنا له فراغا بحجم ناطحات البؤس، سيلعنا
أبنائنا، لا خير فينا..."، كيف ينظر السعيد بوطاجين
إلى المستقبل انطلاقا من مؤشرات اليوم ؟
لست متفائلا بالمستقبل إن أنا أسست على معطيات
الحاضر. ثمة مؤشرات كثيرة تدل على صدوع ،
الخراب لا ينتج سوى الخراب .لنتأمل مدننا وبيوتنا
المسيجة بالحديد، الخوف يسكن خلايانا، وهذه علامة
سيئة، هذه ليست مدنا، بل زنرات في الهواء الطلق، ثم
ماذا قدمنا للشباب؟ وحدها الاختلاسات ناجحة، وإذا
حدث أن حررنا جهاز العدالة فسندهب إلى السجن
كلنا، سيذهب الفاسد والساكت على الفساد العام الذي
ينخر المجتمع من ألفه إلى يائه.
لا أجد مشاريع حقيقية تحصن هذا الجيل والأجيال
القادمة. إننا نبني أوهاما ونقنع أنفسنا بأنها مشاريع

مستقبلية تؤهلنا لغزو الكواكب، ومن المؤسف أن نصدق هذا الكذب. إنه لأمر غريب ألا نبصر واقعنا بعيون صادقة، ألا نتسم بالشجاعة الكافية للحديث عن حقيقتنا، بإيجابياتها وسلبياتها. أعتقد أن النفاق فعل فعلته في كل الميادين، وليس من السهل تربية النفس على الصدق، لأن الصدق نظيف جدا، وكلما كنت صادقا كلما اقتربت من الهم والموت.

مؤسساتنا عاطلة ورؤيتنا ظرفية، ولا يمكن التفكير في المستقبل تأسيسا على التقاليد الترقيعية التي تميز ثقافتنا، وإذا كان الشباب يهربون من البلد بطرائق انتحارية ومأسوية فلأنهم يبحثون عن مستقبلهم في جهات أخرى، ولو كانت في بطن الحوت. علينا أن ندرس هذه الظاهرة بموضوعية لنعرف إلى أين نحن ذاهبون، مع أن الدراسات لا تنفع كثيرا في هذه الفوضى المبرمجة التي يتم التخطيط لها بالبطن والأمعاء.

سيجد الجيل القادم عمرانا كارثيا وأرضا مستلبة
وثقافة هشة وعقلا متخصصا في بناء المستودعات
والمآرب والسطو على الممتلكات، وكل أشكال
الجريمة المنظمة وغير المنظمة.

قال عنك الروائي الحبيب السايح: «...السعيد
بوطاجين قامة أكاديمية مؤكدة وقامة معرفية ثابتة
وظاهرة قصصية نادرة، لكنه إنسان حلتته أخلاق
العلماء، إنه عالم الجزائر السيميائي الموعود، ولن
يؤلم كثيرا أن لا تعرفه الجزائر الآن، أو في زمن
قريب، فإن الجحود شيمة هذا الجيل ومؤسساته..»،
أستاذي الكريم، لماذا لا نعرف قيمة الكبار إلا بعد
رحيلهم؟

لم يحدث في التاريخ البشري أن بنيت حضارة
بالطبل والمزمار وكرة القدم والخطب الحماسية التي لا
معنى لها. الطاقات الجزائرية استفادت منها دول
أخرى لا تخطط انطلاقا من عقلية الطبل والمزمار

والريع. شخصيا، لا أنتظر شيئا، لقد نفضت يداي من هذا الغبار العارم، ومع أنني أحزن لما أجد أبناء البلد يبنون بلدان الآخرين، فإني أرى ألا خيار لهم، إما أن يعيشوا على الكفاف، منهارين عصبيا، أو أن يرحلوا، والأمثلة لا تعد. أمر آخر: عليهم، إن مكثوا هنا أن يتدربوا على كل أنواع الكذب والكسل والمداهنات وطأطة الرأس.

بين "رأس المحنة" بالخبر الأسبوعي و"السرد بالصورة" بالجزائر نيوز، جرعات التشاؤم مضاعفة في الحالة الأولى، هل الواقع في حاجة إلى طلاء أسود أم إلى شيء آخر ؟

السرد بالصورة مقالات أكاديمية إلى حد ما، وعادة ما تهتم بمسائل تقنية متخصصة، أما رأس المحنة فهو أنا وأنت والآخر، هناك سريرية وعبث وسخرية ونكتة، طريقة لنقل هذا الواقع الغريب الذي يعجز أمامه أكبر كتاب الدنيا، لا يمكن أن تضيف

السواد للأسود، كما لا يمكنك الهرب من الظلام بالجري في الظلام، كما يقال، لذا، عليك أن تجتهد للتعبير عن اللامعقول، وذاك ما فعلته، بداية من عنوان الأعمدة.

ترجمت رواية "نجمة" للمرحوم كاتب ياسين،
أين تكمن قوة النص الكاتبي؟

نعم. كل ترجمة هي مقارنة من المقاربات الممكنة، أما هذه الرواية فيجب أن يهتم بها متخصصون، الأيدي غير الآمنة كثيرة، وعادة ما استثمار هذا النص لأغراض غير أدبية. قد أتحدث عنها لاحقاً، لقد حدثت مظالم ومفاسد مردها استغلال الرواية لأهداف أخرى، غير مقاصد الكاتب.

رواية "نجمة تائهة" للكاتب جان ماري غوستاف لوكلوزيو، هي آخر ما ترجمته، ماذا أعجبك في هذا العمل؟

ترجمت هذه الرواية بالاتفاق مع مدير دار العلوم ناشرون ببغروت، وقد نشرت هناك. هذا العمل مهم لأنه يتناول الصراع العربي الإسرائيلي من زاوية نظر أخرى، ومختلفة قليلا عن الرؤى السياسية المعيارية، وهو عمل متقن من حيث السرد والبناء.

ختاما، ما هو آخر ما أوحى به قلم الكاتب السعيد بوطاجين؟

أشتغل حاليا على بعض القضايا المتعلقة بالمصطلح الجديد، في النقد وفي الأدب، كما أهتم ببعض القواميس لنقلها إلى العربية، أضع اللمسات الأخيرة لكتاب نقدي وأكتب رواية، أقرأ كثيرا ما يكتب في الجزائر وخارجها. لكني أعيش مرارة حقيقية، حالة اكتئاب لا تنتهي. تحياتي لك ولجريدة النصر التي تعلمت منها كثيرا مذ كنت بحجم خنصر.

نشر بجريدة النصر: 1 مارس 2011.

الباحث في العلوم السياسية الدكتور سليم قلالة:

"السياسة لدينا محكومة بضغط الحاضر

وبمنهجية رد الفعل والاستعجال"

"تمنيت لو أن أُمي رأت الكتاب الذي كتبت عنها

قبل أن تموت"

يرى أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر، ومدير "مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف"، الدكتور محمد سليم قلالة، بأن مهمة الدراسات المستقبلية ليست التنبؤ، بل وضع السيناريوهات البديلة والدفع باتجاه تحقيق إحداها، ويرجع سبب اختلاف مسار الثورات العربية إلى تباين البيئات؛ فالبيئة الأكثر انفتاحا على مجتمع المعرفة - مصر وتونس - هي الأقدر على التحرك بفعالية. تناولنا في حوارنا مع الأستاذ قلالة - إلى جانب الحاضر والمستقبل - التاريخ على ضوء كتابه الأخير الذي يحمل عنوان: "حلم والدتي، مذكرات أرملة

شهيد وابنيها 1958 – 1999". ورغم تحليله المرّ
للواقع إلا أنه لا يزال متفائلا بالمستقبل:

كتبت في الصحافة منذ الثمانينيات، وفي العام
1993 أسست أسبوعية "الحقيقة"، كما أدرت فيما
بعد يومية الأحداث، كيف يقرأ الأستاذ قلالة واقع
الصحافة الجزائرية اليوم، على ضوء التحديات التي
تواجهها الجزائر في العشرية الثانية من القرن
الحادي والعشرين؟

الصحافة الجزائرية اليوم تبحث عن النوعية،
نوعية الكتابة ونوعية الفكرة، ونوعية الرسالة، ونوعية
الأقلام. لقد تخطت الصحافة الجزائرية مرحلة الكم -
العدد الكبير من الصحف، والعدد الكبير من القراء،
والكميات العالية من السحب، شيء جميل هذا، لكن
ينبغي ألا يكون على حساب نوعية الكتابة، نوعية
الأفكار التي تُطرح، وإن شئت نوعية الرسالة التي
تُحمل. أشعر اليوم بطغيان الحدث و ردة الفعل

اللحظية، على التحليل وتقديم عناصر الرؤية التي يمكن من خلالها أن يضبط القارئ وجهته. أحس بأن ردة الفعل هذه، هي التي أصبحت تحكم الكتابة والقراءة لدينا، وليست النظرة البعيدة أو الرؤية أو حتى الحلم كما كان في السابق. لم نكن واقعيين في بداية الثمانينات بالقدر الكاف وحتى في بداية التسعينيات، كنا نحلم ونطمح أكثر من إمكانياتنا، أما اليوم فقد أصبح الكثير منا موغلا في الواقعية في الآنية في الحدث اليومي، وكلا الموقفين في حاجة إلى تصحيح باتجاه الرؤية المتوازنة والمعتدلة التي تسعى إلى المساهمة في صناعة المستقبل من خلال مختلف الوسائل بما في ذلك الإعلام. وهذا يحتاج إلى مزيد من الجهد، إلى مزيد من الانتقائية في الكتابة والقراءة، إلى مزيد من الفرز لنصل إلى الأصلح. والحل لا يكمن في إيجاد نخبة من الصحافة إنما أولا وقبل كل شيء في إيجاد نخبة من القراء. وهذه ليست مهمة وسائل الإعلام وحدها، هي مهمة الأسرة والمجتمع والمدرسة، ولكي

يتحقق ذلك ينبغي أن تكون لدينا سياسة إعلامية وتكوينية ذات غاية إستراتيجية واضحة هي إنشاء أجيال تؤمن بالتنوع وترفض الرداءة في أي مستوى كان و في أي منحى من مناحي الحياة بما في ذلك الكتابة الصحفية .

تحتل الدراسات المستقبلية مساحة هامة ضمن كتابات الأستاذ قلالة، أين نحن في الجزائر من الدراسات المستقبلية من الناحيتين العلمية (النظرية) والواقعية (التطبيقية)؟

نشعر بالحاجة إلى ذلك ولكننا غير قادرين على الانطلاق فيها، لأن مثل هذه الدراسات هي منهجية في الحياة قبل أن تكون تقنيات عمل، ونحن سواء كنا نقصد ذلك أم لا، نعيش نقيض هذه المنهجية تماما .
المنهجية السائدة عندنا تستند إلى ركيزة واهية هي الاستعجال وعدم الاستباق ورد الفعل. مازلنا نعتبر المخططات الاستعجالية في أي قطاع من القطاعات

أمرًا عاديًا، والقرارات الناتجة عن الاستجابة لضغط الشارع أو المحيط هي قرارات سليمة، مازال السياسي و الإداري عندنا يتحرك ضمن الاستعجال، كرجل المطافئ، باستمرار تحت ضغط قلة الخيارات وأحيانًا تحت ضغط الخيار الوحيد والذي لن يكون أبدًا هو أفضل خيار، عندما تكون النار قد اشتعلت. وفي ظل هذه الحالة تتعدد القرارات الجزئية المرحلية وتغيب القرارات الإستراتيجية البعيدة المدى التي تصنع المستقل. فكما يقول الاستشراقيون: كلما كثرت القرارات الصغيرة غابت القرارات الكبيرة، وفقدنا القدرة على التفكير الاستراتيجي. هذا يحصل لدينا في الكثير من المستويات ونعيش انعكاسات غياب هذا النوع من القرارات المبنية على الاستشراق الاستراتيجي، في ظل ما نرى من قرارات محدودة في الزمان والمكان. ونحن ندرك ذلك ونعيه ولكننا لا نستطيع أن نغيره، لأننا لم نتمكن من تحرير أنفسنا من ضغوط الحاضر ومنهجية التفكير السائدة، ومهما كانت

الجهود التي تُبذل في هذا المجال، ولو بتأسيس وزارة للاستشراف، لن نتحرك، لأن المسألة لا تتعلق بإنشاء هيئة جديدة إنما بتغيير نمط تفكير كلي وهذا يتطلب مراجعة على أكثر من مستوى، تطبيقي ونظري الغائبين معا.

الدراسات المستقبلية تعتمد على وضع السيناريوهات، فما هي السيناريوهات المحتملة للجزائر، على المدنيين المتوسط والقريب، اعتمادا على هذه الدراسات؟

لا يمكننا تقديم سيناريوهات عن مستقبل الجزائر من غير القيام بدراسة معمقة عن المتغيرات الرئيسية التي تحكم بلدنا. نحن لحد الآن لا نعرف ما هو المتغير الرئيسي الذي يتحكم في تطور بلادنا إلا من خلال الانطباع أو الاستشفاف الخارجي. لم نقم بدراسات متعددة التخصصات لاستخراج المتغيرات الرئيسية التي ستتحكم في تطورنا المستقبلي، ولم نقم بمتابعة

اقتراضات تطور هذه المتغيرات في العشرين سنة المقبلة مثلاً، ولا قمنا برصد التوفيقات الممكنة التي تشكلها العلاقات بين هذه المتغيرات لنستخلص السيناريوهات الجزئية ثم الكلية لبلادنا. لم يتم هذا في حدود علمي داخليا، ولكني متأكد أن القوى الراصدة لتطور بلادنا والمهتمة بمصيرها تقوم بمثل هذه الدراسات السرية بالتأكد، في محاولة منها لصناعة مستقبلنا من خلال سيناريو مُفضّل لديها. وإذا لم نتمكن نحن بأنفسنا من رسم السيناريو الخاص ببلادنا فسنجد أنفسنا بكل تأكيد جزء من ذلك الذي صنعه لنا غيرنا، باعتبار أن المستقبل يُصنع الآن بالكيفية التي يُصنع بها الحاضر، وإذا لم تصنعه لنفسك يصنعه لك الآخرون. وأنا أميل اليوم أننا ما زلنا لا نملك السيناريو المرجعي الذي يحكم حركتنا في القرن الحادي والعشرين، والسبب في ذلك أن السياسة لدينا كما أسلفت محكومة بضغوط الحاضر بمنهجية رد الفعل والاستعجال، سمة

التفكير البسيط وغير الاستشراقي، وهذا وضع غير طبيعي تماماً.

هل تنبأ خبراء الدراسات المستقبلية بما حدث ويحدث في المنطقة العربية، بداية بتونس ومصر ثم ليبيا، اليمن، سوريا..؟ وما هي العوامل التي ساعدت على انتصار الثورات في المجموعة الأولى وغابت في المجموعة الثانية؟

قليلة هي الدراسات المستقبلية التي تتنبأ بما يحدث، ذلك أن هذه ليست مهمتها. مهمة الدراسات المستقبلية ليست التنبؤ لأن المستقبل ليس محدد سلفاً حتى يمكن التنبؤ به، مهمتها هي وضع السيناريوهات البديلة والدفع باتجاه تحقيق إحداها والتكيف باستمرار مع المستقبلات الفرعية التي تظهر وتكيف السيناريو الكلي معها. بدون شك كان للأمريكيين سيناريو عن مستقبل المنطقة العربية في القرن الحادي والعشرين فيما عُرف بالشرق الأوسط الكبير، وكان هناك عمل

لأجل تحقيقه وملايين الدولارات كانت تُصرف لأجل ذلك تحت تسميات متعددة كالمساعدات من أجل الديمقراطية أو غيرها، إلا أن هذا لا يعني أن الأمريكيين هم من صنعوا الثورات العربية. الأمريكيون اليوم والغربيون عامة هم بصدد تكييف سيناريواتهم مع العناصر المستقبلية الجديدة لدفعها باتجاه خدمة السيناريو الذي يخدم بطريقة أفضل مصالحهم. وعلى القوى الفاعلة في العالم العربي والمتحركة حالياً في الساحة أن تدرك ذلك وتمنع استدراجها ضمن السيناريوهات المعدة سلفاً (ليبيا مثلاً)، وتسعى لوضع سيناريوهات بديلة وواضحة لديها على المديين المتوسط والبعيد. وإذا لم تفعل ستُسرق منها الثورة ويتم تعطيلها لسنوات كما عطلت ثورات التحرير في حدود معينة.

أما لماذا لم تأخذ الثورات مسار بعضها البعض فهذا ناتج أنها نابعة من بيئات مختلفة، وهو دليل آخر على أصالتها. ولحد الآن كانت البيئة الأكثر انفتاحاً

على مجتمع المعرفة - مصر وتونس - هي الأقدر على التحرك بفعالية، والبيئة الأكثر انغلاقاً هي الأقل قدرة، إذ ينبغي أن نؤكد أن السبب الرئيس في الثروات العربية هو اختلال المعادلة بين مدى انتشار المعرفة - **le savoir** - بين شرائح واسعة من المجتمع ومنع إعادة توزيع السلطة بما يتناسب مع ذلك من قبل الحاكمين، بل والزيادة في احتكار السلطة. وإذا انطلقنا من هذا فسنجد بأن طرفي المعادلة في تونس ومصر كانا أكثر اختلالاً منه في البلدان الأخرى، إما في طرف الانتشار الأوسع للمعرفة أو الاحتكار الأكبر للسلطة. ليبيا مثلاً كان احتكار السلطة كبيراً ولم يكن هناك انتشار واسع للمعرفة في المجتمع وتدخل واضح للسنياريو الأجنبي، فكانت المواجهة بالسلاح هي الأولى عكس مصر وتونس.

لولا وجود وسائل التواصل الحديثة (فايس بوك، تويتر، يوتيوب)، والقنوات الفضائية هل كان بالإمكان قيام هذه الثورات؟

كما أسلفت أسباب الثورات أعمق - هي في
اختلال موازين معادلات كثيرة كالتى ذكرت سابقا،
(المعرفة - السلطة)، (المستقبل - السلطة)...الخ، وفي
عجز السلطات الحاكمة أمام المستقبل. أجيال بكاملها
تتطلع إلى مستقبل جديد وقوى حاكمة لا تنظر إلا
لحاضرها وفي أحسن الأحوال إلى مستقبلها الخاص،
ليس إلى مستقبل دولها أو حضارتها أو قيمها. وفي
جميع الحالات هي على استعجال، المشكلة تكمن هنا.
أما الفايسبوك وغيرها فما هي إلا أدوات للتغيير يمكن
أن تستخدم للثورة كما يمكنها أن تستخدم للثورة
المضادة، لها نفس دور السلاح في ثورات التحرير
الكبرى. كان وسيلة غربية ولكنه استخدم لأجل
التحرر، وفي بعض الأحيان تم تحويله إلى ما هو ضد
الثورة. وهذا ما ينبغي ألا يحدث في البلدان العربية.

بعد كتابك "التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد"، أصدرت مؤخرا، كتابا جديدا عبارة عن مذكرات حملت عنوان: "حلم والدتي، مذكرات أرملة شهيد وابنيها 1958 – 1999"، ما هي قراءتك لعملية كتابة تاريخ الثورة. من حيث الدراسات التاريخية، الكتابة الأدبية والصورة السينمائية؟

من أسباب كتابتي هذا الكتاب فضلا عن تحقيق حلم والدتي، هو أنني أحسست بأن هناك فئة واسعة من الجزائريات لم تأخذ حظها في كتابة تاريخ الثورة: أرامل الشهداء والنساء الريفيات والبدويات بشكل خاص. مساهمتهم كانت كبيرة ولكنها منسية. كم من كتاب تم تأليفه عن أرامل الشهداء ودورهن بعد استشهاد أزواجهن وهن في مقتبل العمر؟. كم من كتاب سجل بطولة النساء البدويات الريفيات والفقيرات؟، لا أذكر كتابا واحدا. لقد قلت في مقدمة كتابي عن والدتي أنني أعرف بأن تضحيتها من أجلي ومن أجل أخي هي بالتأكيد مشابهة بل صورة طبق الأصل لتضحيات

ملايين الأمهات والنساء الجزائريات مثلها اللائي لم ينتبه لهن أحد. وقد سعيت لأن أصف بدقة ما عشته معها وأنا طفل، حياتها وحياتنا وكيف استطاعت من غير أية وسائل تذكر أن تمكننا من أرقى درجات العلم وأن تحقق أمنية الشهيد الأولى والأخيرة أن يرى أبناءه يكبرون في بلده معززين مكرمين متعلمين غير مقهورين. ليس هذا بالأمر اليسير صدقني، وكل من عاشه يعرف ذلك تماما وأحيانا أكثر مني، لقد سمعت عن أرامل شهداء ونساء حرائر في القرى والمداشر خاصة، كيف كابدن وعشن من أجل الجزائر ما لا تكفي مجلدات للتعبير عنه ومع ذلك لا أرى إلا طي النسيان يلفه كل يوم، وتنساه الأجيال عاما بعد عام.

من خلال كتابتك لهذه المذكرات، حققت حلم والدتك، ما هو إحساسك بعد إنجاز هذا العمل ؟

تمنيت لو أنني أنجزته وهي على قيد الحياة لتحمله بين يديها وتفتخر به وإن لم تكن بقارئة. لقد كانت

تحتني على القراءة بتصفح كتب أمامي وكأنها تقرأ. لم أعرف أنها لم تكن تقرأ إلا عندما كبرت. كنت أتمنى أن تتصفح هذا الكتاب أيضا قبل أن تفارق الحياة... في العدد الأول من أسبوعية الحقيقة (1993/12/15م)، كتبت ما يلي: "كل الأرقام التي أقرأها وكل الدراسات التي تمر بين يدي وكل التعاليق التي أسمعها وكل التوقعات التي يتوقعها الخبراء تقول شيئا واحدا: أنه علينا أن نرفع الراية البيضاء.. ومع ذلك أقول لا أسف، لا أسف... فالحياة هي لحظات وليس قرون، وبإمكاننا في لحظة واحدة، نسميها لحظة القدر أن نتحول من أمة إلى أمة.. ونختزل الألف شهر في شهر ونطوي الزمن طيا لنلتحق بهم ونوازيهم ونتفوق عليهم.. هذه اللحظة يمكن أن نصنعها.."، بعد مرور 18 سنة عن كلامك هذا، هل لازلت محافظا على تفاؤلك أم أن ما مرّت به الجزائر خلال هذه الفترة جعلك تعيد حساباتك؟

نعم. إن ليلة من ليالي القدر خير من ألف شهر.
أي قد تفوق في سرعة تأثيرها سرعة تأثير ألف شهر.
ومازلت متأكدا أنها قادمة ذات يوم.

أستاذ قلالة، ماذا توفر في التجربة التنموية في
ماليزيا وتركيا، ولم يتوفر في تجارب البلدان العربية؟
مسألة جوهرية: هذه البلدان شكلت لنفسها صورة
مرجعية عن مستقبلها ورؤية متكاملة، ولم نتمكن نحن
من ذلك، بقينا أسرى ضغط الحياة اليومية، لم نحرر
الآفاق.. لم نفتح أبواب الأمل واسعة. هذا هو الفرق
الجوهري.

تدير "مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف"
منذ سنة 2009، ماذا حقق هذا المركز من إنجازات؟
يحافظ على الأمل في أن ننتبه ذات يوم أن
مشكلتنا ليست مع الحاضر أو الماضي إنما هي مع
المستقبل. ويسعى للقيام ببعض الإصدارات لنشر ثقافة
الاهتمام بالمستقبل. كدراسة عن مراكز الفكر في

العالم، وترجمة لكتاب الاستشراف الاستراتيجي
للمؤسسات والأقاليم ستنتشره اليونسكو، ونشر دراسة
أخرى من 600 صفحة عن مستقبل إيران 2020،
والمساهمة في توفير بعض الأدوات المنهجية
والمعرفية للمهتمين بالدراسات المستقبلية وإعداد
السيناريوهات. كل هذا من غير أية إمكانيات، بجهودي
الفردية فحسب... يكفي أنني أفكر الآن في ثمن تجديد
كراء المقر، الذي قد لا يتجدد.

نشر بجريدة النصر: 31 ماي 2011.

الباحث في علم النفس د. أحمد زردومي:

"التنمية البشرية مجرد "موضة"، ويبقى

الأساس الأكاديمي هو المستديم"

يرجع أستاذ علم النفس بجامعة الجزائر، د. أحمد زردومي، ارتفاع نسبة الأمراض النفسية في الجزائر، إلى التغير السريع الذي مرت به الفئات الاجتماعية وغياب المرافقة الاجتماعية لذلك. ويرى بأن ظاهرة الإجرام والجريمة المنظمة والعنف الاجتماعي كلها مؤشرات على وجود خلل ما له علاقة بالصحة النفسية. ويحذر - في هذا الحوار - من المحتالين الذين ينصبّون أنفسهم بدلاء للطب والطب النفسي، لأنه مجال يدر عليهم بالربح وهم يتاجرون بمشاعر وعواطف الناس:

تدرّس علم النفس بجامعة الجزائر منذ عقدين، أين وصل علم النفس في الجزائر نظريا (الدراسة والبحث)، وميدانيا (الممارسة)؟

وصل علم النفس في الجزائر إلى مكانة مرموقة، بحيث نستشف ذلك من خلال الطلب المتزايد للأولياء للاسترشاد والأخذ بالكفالة النفسية لمتابعة ورعاية المشكلات الصحية والنفسية لأطفالهم.

من الناحية النظرية، فإن أدبيات علم النفس من حيث المواضيع أو الطرح تتم على وجود كفاءات كبيرة في الجزائر، خاصة تلك التي تتعلق بتحليل البنية الثقافية لفهم مشكلات المجتمع. هنا نشير إلى أعمال محفوظ بوسبسي (رحمه الله) و نورالدين طوالي و سليمان مظهر، فضلا عن أعمال أكاديمية أخرى ذاع صيتها في كليات و جامعات محلية وأجنبية. كما يظهر ذلك من خلال المشاركات المكثفة للباحثين الجامعيين الجزائريين في الندوات والمؤتمرات الدولية.

ميدانيا، خطا علم النفس والتحليل النفسي خطوات عملاقة في الجزائر بفضل انتشار المراكز النفسية / الاجتماعية التي لديها خبرة كبيرة في التعامل مع

المشكلات النفسية والصحية منذ عهد الشهيد فرانس فانون بالبليدة، إلى غاية اليوم مثل المركز الصحي النفسي الجديد بالمعذر ولاية باتنة.

من حيث الممارسة، لدينا تعاقب أجيال ومدارس علم النفس والتحليل النفسي في الجزائر. بحيث نجد الجيل الأول الذي تكوّن في المدرسة الفرنسية وساهم في إرساء ثقافة بحث وتنقيب أعطت نتائج مبهرة في التعامل مع يوميات المجتمع الجزائري. ولدينا الجيل الثاني المخضرم والمتعدد المناهل بين الثقافة الشرقية والغربية والمتعدد المصادر في التكوين أي المتخرجين من الجامعات الأمريكية والبريطانية وهو اليوم يحمل منارة التكوين الجامعي وأشرف على تخريج آلاف المتخصصين في علم النفس من مختلف التخصصات، وهم الذين يؤطرون مؤسسات التربية والتعليم و الصحة وهيئات أخرى تستجيب لطلبات الإرشاد النفسي والاجتماعي.

بالإضافة إلى ذلك، تزخر الجزائر بجيل من الممارسين النفسانيين يشرفون ميدانيا و يرافقون المواطن في زمن الكوارث الكبرى تحت وصاية وزارة الصحة ووزارة التضامن، وهي تجارب متميزة جدا تبرهن على مدى الاستثمار في هذا المجال المتعلق بالموارد البشرية ورأس المال البشري.

ارتفعت نسب الأمراض النفسية في الجزائر، نظرا لفترة العنف التي مرّت بها، كيف هو واقع الصحة النفسية عندنا ؟ وماهي الأمراض الأكثر شيوعا ؟

واقع الصحة النفسية في الجزائر أصبح ملموسا و واضحا للعيان من خلال عدد الحالات الوافدة جراء مشكلات نفسية اجتماعية أدت إلى انهيار البناء الاجتماعي. أو تلك التي تأتي طوعية طالبة الاستشارة والاسترشاد.

ارتفعت نسبة الأمراض النفسية جراء التغير السريع الذي مرت عليه الفئات الاجتماعية وغياب المرافقة الاجتماعية لذلك. كما يمكن الإشارة إلى تأخر وسائل الإعلام الاجتماعي في التكفل بهذه المشكلات إلى غاية التسعينيات، مما تسبب في تراكم المشكلات النفسية والصحية وتيه الناس في التعامل مع مصادر الاستشفاء مما أخلط الأمور بين العلاج النفسي والعلاج التقليدي والطب.

واقع الصحة النفسية في الجزائر مريح بالمقارنة مع الأرقام الواردة في التقارير التي تعنى بالصحة العامة. لكن التمعن في الواقع المعيش يوحي إلى ضرورة تكثيف المجهودات للتكفل بجميع الحالات الظاهرة والخفية لأن ظاهرة الإجرام والجريمة المنظمة والعنف الاجتماعي كلها مؤشرات على وجود خلل ما له علاقة بالصحة النفسية، دون أن ننسى تعاطي المخدرات الذي يتسبب في كل الآفات ذات الصلة بالصحة النفسية.

الأمراض الأكثر شيوعا هي العصاب، الزهان
السكيزوفرينيا وأمراض أخرى لها علاقة بمواقف
صدمية تتسبب في سوء التكيف الاجتماعي.

التمييز بين المريض عقليا والمريض نفسيا
تفكير خاص بفئة محدودة من المجتمع، ماهي الحدود
الفاصلة بينهما ؟

المرض العقلي من الناحية الوظيفية يتبع خلا
وظيفيا في الجهاز العصبي.

المرض النفسي من الناحية الوظيفية يتبع خلا
في الجهاز النفسي.

المريض عقليا هو شخص فاقد للوعي بالذات
يمكن أن يؤدي نفسه أو الآخرين بالتالي يحتاج إلى
متابعة وعناية مركزة لاسترجاع العلاقة المفقودة مع
الواقع.

المريض نفسيا هو شخص فاقد لآليات التكيف
والمواجهة، يعاني مشكلة خاصة به و يمكن أن يؤثر

في الأشخاص المحيطين به كونه يتميز بتدني الأداء والتواصل الاجتماعي مما يزيد في الصراعات التي يعاني منها ويحتاج إلى كفالة نفسية لتجاوز الخلل الذي يتمركز حوله بتغيير إدراكه وفهم مصادر الضغط التي تسببت له في معاناة ظرفية.

الحدود الفاصلة بين المرض العقلي والمرض النفسي هي حدود وهمية لا يمكن إدراكها نظرا لتعدد بناء الجهاز النفسي الذي يمتد في الماضي العميق للشخص و يذوب في اللاوعي أو اللاشعور. يحدد الباحثون الأساس السيكوسوماتي كأرضية للتمييز بين المرض العقلي والمرض النفسي. لكن تغلب الأساس النفسي على الجسدي بمعاناة خاصة يمكنها أن تؤول إلى انهيار يعقبه مرض عقلي.

ظهرت في السنوات الأخيرة، عدة طرق علاجية
تنسب لعلم النفس: العلاج بالطاقة، العلاج بخط
الزمن، التنويم بالإيحاء، علاج الشخصية من خلال
الخط (الغرافوتيرابي)..الخ، ماذا تقول عن هذه
الطرق؟

ميدان علم النفس يبقى مفتوح على كل
الاحتمالات مثلما هو الصراع بين علماء النجوم
والتنجيم.

علم النفس يطرق أبواب الشخصية ويحقق بأثر
رجعي في ملمح شخصية الفرد مثلما يفعل علماء الآثار
وهم ينقبون على تحفة أثرية بتأن لمعرفة الحقبة
الزمنية و استشفاء الواقع في الماضي.

سبق وأن أشرنا إلى الخلط الموجود لدى الناس
في طلب الاستشفاء. هذا الغموض يؤدي إلى ظهور
ظواهر التداوي والاستطباب والعلاج وoooooooo.

الإنسان المصاب في ذاته يطلب الحل من أي كان، لذا ينصّب المحتالون أنفسهم بدلاء للطب والطب النفسي لأنه مجال يدر عليهم بالربح وهم يتاجرون بمشاعر وعواطف الناس، لذا يمكن لعرافة أو "قزانة" أن تتحول إلى راقية ومختصة في التنمية البشرية والجمباز العقلي بين عشية وضحاها. فهي مجرد "مودّة" ويبقى الأساس الأكاديمي هو المستديم.

يعاني الطفل الجزائري من عديد أشكال العنف:
عنف منزلي، عنف مدرسي، عنف الشارع، عنف وسائل الإعلام (أفلام الرعب، ألعاب الكمبيوتر، الصحافة المكتوبة خاصة الصفراء والرياضية)، الانترنت..، كيف يمكن حماية الطفل من العنف ؟

يمكن حماية الطفل من العنف بتبديد الطاقة الزائدة والموجودة لديه بالإشراف على أعباءه وتوجيه الطاقة إلى أغراض سليمة وسلمية. على أن توفير الفضاءات المفتوحة ضروري جدا لتفادي الاحتكاك،

كما يمكن شرح مخاطر العنف والأذى منذ المراحل المبكرة لتوفير أرضية معرفية و وجدانية لدى الطفل للعمل تجاه تقليل حدوث مثل هذه الظواهر.

العنف الممارس ضد الطفل متنوع: جسدي، لفظي، جنسي. ماهو مستقبل ضحية العنف ؟

يمارس العنف ضد الطفل في الكثير من الحالات الردعية الهادفة إلى تصويب وتصحيح سلوك خاطئ. لكن هذا العمل يعتبر أسهل رد فعل يستطيع أي كان أن يقوم به اعتقاداً منه أنه بصدد تقويم سلوك الطفل. إلا أن أصعب شيء - وهو ليس في متناول الناس جميعاً - هو أن نوّلد وننمي قناعة لدى الطفل للعدول عن التصرف السيئ.

الثقافة النفسية في الجزائر شبه منعدمة، كمختص في هذا المجال، بم تنصح الوالدين والمربين لتكوين قاعدة علمية للتعامل بشكل جيد مع الطفل ؟

التعامل بشكل جيد مع الطفل ينحصر في الكيفية التي نتصرف بها أمامهم وحيالهم بإعطاء صورة نموذجية مثالية تمنح فرصة التقمص.

يعاني المراهق من مشاكل نفسية متعددة، ماهي سبل التخفيف أو حل هذه المشاكل ؟

أهم سبيل للتخفيف من معاناة المراهقة، هو توفير مؤسسات الترفيه والتعليم بالمرافقة الاجتماعية لتجسيد الانتماء للجماعة المرجعية والاجتماعية.

المختص النفسي الجزائري، هل يمتلك مؤهلات ممارسة العلاج النفسي من حيث التكوين والإمكانيات ؟

يمتلك المختص النفسي الجزائري إمكانيات هائلة لممارسة العلاج النفسي في حال توفر إطار مؤسساتي يساعده على ذلك.

نشر بجريدة النصر: 07 جوان 2011.

الباحث في تاريخ الجزائر الأستاذ صلاح الدين تيمقلين:

"على الكاتب ألا يلبس الشخصية التي يكتب

عنها لبوسا أبيض ولا لبوسا أسود"

"المساس بالتاريخ ينعكس أثره على الجغرافيا"

يرجع الأستاذ صلاح الدين تيمقلين العوامل التي
ساهمت في بروز قادة مقاومة كبار ببلاد المغرب إلى
السياسة التي انتهجها الاستعمار بمختلف أشكاله منذ
القديم إلى غاية الفترة المعاصرة، والتي من أهم
أوجهها: القهر والظلم والتحقير والاضطهاد والتجهيل
والتجويع والمسح..مما دفع بهذه الشعوب إلى
الالتفاف حول هؤلاء القادة من أجل التحرر من
الاستعباد الأجنبي. ويرى الباحث بإمكانية كتابة
التاريخ من قبل غير المتخصصين إذا توفرت لديهم
الوسائل والإمكانيات.

كتب الأستاذ تيمقلين عشرات المقالات
والمواضيع التاريخية في العديد من الجرائد
والمجلات: النصر، الجمهورية، الأوراس، الخبر،
الشروق... وله كتاب تحت الطبع بعنوان: "ثورات
الأوراس عبر العصور" وكتب أخرى مخطوطة منها:
- المسلمون في ميادين العلم والمعرفة (صححه
الدبلوماسي والشاعر أحمد الطيب معاش).

- مأساة الجزائر.. الخ.

الكتابة عن الأعلام، هل هي إبراز للإيجابيات
وإهمال للنقائص؟

في الواقع إن الكتابة عن الأعلام قد تأخذ شكل
تعريف أو سيرة أو ترجمة، تشوبها ربما الحيادية
والموضوعية، أو قد تأخذ منحى القداسة فتتأى عندها
عن الأمانة العلمية وتطغى عليها الذاتية والمذهبية من
ملة ونحلة، فالكاتب لا يستطيع أن يبقى على مسافة
ثابتة من الشخصية خاصة إذا اعتبرت رمزا، لكنه قد

يغوص في أعماقها ويتأثر بها فيتحول من محص
وناقد الى جالب وسارد وفق مزاجه المتأثر سلبا أو
إيجابا بروحه التواقة لذلك، فيكون إما قادحا بسرده
للنقائص، أو مادحا بإبرازه للمثالب.

لذلك وجب على الكاتب ألا يلبس الشخصية لبوسا
أبيضاً ولا لبوساً أسوداً، لأن التاريخ لا يؤمن بالصفحة
البيضاء والصفحة السوداء، وإنما قد تكون بيضاء
مشوهة ببقع سوداء أو سوداء موشاة ببقع بيضاء،
واعتماداً على هذه المنهجية في الترجمة تحصل الفائدة
ويتحقق المبتغى، ويصل الكاتب ومن خلاله القارئ الى
الحقيقة الساطعة التي يعبر عنها هذا البيت الشعري:

لكل شيء إذا ما تم نقصان *** فلا يغربطيب
العيش إنسان

فإدراك الحقائق لا إهمالها هي القاعدة لأنها جزء
لا يتجزأ من مسار الشخصية وقد تكون نتاجاً لسلوكاته
تستشف منها دروبا مديدة لأجيال جديدة.

كتبت عن بلاد المغرب ما قبل الإسلام، بعض المؤرخين يتخذون انتشار الإسلام في بلاد المغرب بداية التأريخ لهذه البلاد، هل توافق هذا الرأي ؟

إن تاريخ الأمم كل لا يتجزأ، وإن كانت المراحل والحقب حلقات فهي في الأخير سلسلة مترابطة من الأحداث المتضاربة والمتناقضة بين الازدهار والانتكاس، لا يستطيع كائن من كان أن ينتزع ما يريد، فذلك يسبب القطيعة وبالتالي التيه والشتات والأوهام التي تؤدي لا محالة إلى التشرذم، فالمساس بالتاريخ ينعكس أثره على الجغرافيا، لذلك كانت النظرة الموحدة لتاريخ الأمة تعني الوحدة الجغرافية للوطن.

وإذا كان بعض المؤرخين يتخذون انتشار الإسلام في بلاد المغرب بداية التأريخ لهذه البلاد، فإذا كان القصد من - التأريخ - بداية رصد الأحداث وتدوينها بمعالمها وأطرها الزمانية والمكانية فتلك لعمر ك حقيقة ساطعة، غير أنها اقتصرت حسب

اعتقادي على الحقبة التي سبقت الفتح الإسلامي
للمغرب الكبير معتمدة على المؤرخين والرحالة
المسلمين.

أما التأريخ الذي ينتمي للمدرسة الحديثة ويستند
على المنهجية التاريخية مرتكزا فلسفة التاريخ فقد برز
في القرن التاسع عشر الميلادي، معتمدا على عدة
مصادر منها التقارير العلمية لنتائج الحفائر في المواقع
الأثرية، والنصوص التاريخية الأمازيغية والفينيقية
واللاتينية، بالإضافة إلى ما دونه المؤرخون اليونان
والرومان، علاوة على الجانب الثقافي المتمثل في
الظواهر الأنثروبولوجية، وبذلك تم ربط العصور
القديمة بالعصر الوسيط واستكملت بذلك الحلقات التي
كانت مفقودة.

نشرت في تسعينيات القرن الماضي سلسلة
مقالات حول أبطال بلاد المغرب في مختلف الحقب

التاريخية، كباحث مهتم بالكتابة التاريخية، فيم تتمثل العوامل التي ساعدت على بروز هؤلاء القادة الكبار ؟

من بايداس وأنطلاس وتاكفاريناس إلى الأمير
عبد القادر وعبد الكريم الخطابي بطل الريف وعمر
المختار بطل الصحراء، ثم لالة فاطمة نسومر ومسعود
بن زلماط ومصطفى بن بولعيد، كل هؤلاء الأبطال
وغيرهم الكثير رغم اختلاف حقبة الزمنية من ما قبل
الميلاد إلى القرن العشرين الميلادي وطول المدة التي
تفصل بينهم إلا أن العوامل التي ساعدت على بروزهم
تكاد تكون واحدة، القهر والظلم والتحقير والاضطهاد
والتجهيل والتجويع والمسوخ مفردات عشت شعوب
المغرب الكبير، مما دفع بها إلى الالتفاف حول هؤلاء
القادة من أجل التحرر من الرقبة المفروضة من قبل
أنظمة أجنبية استعمارية أو أنظمة محلية معدومة
الوطنية، لتحقيق الغاية الأسمى الوحدة التاريخية
والجغرافية لتسطير المصير المشترك.

كثرت الانتقادات الموجهة لفترة حكم الرئيس
الراحل هواري بومدين، وكان آخرها كتاب الدكتور
سعيد سعدي حول "العقيد عميروش"، هل ذكر
نقائص شخص ما أو انتقاد فترة حكمه هو انتقاص
من قيمته ؟

ماذا عساني أن أقول وأنا استحضر روح الرئيس
الراحل هواري بومدين ؟ يكفي الجزائر فخرا أن
حكمها رجل توفرت فيه كل شروط القيادة آنذاك، فكان
الاستثناء الوحيد والكبير في قاعدة مثلها بقية من حكم
البلاد. ربما يكون هذا الرأي بالنسبة للبعض كلاما
نشازا، إلا أنه لفرد قد عاصر الرئيس فتعلق به وتأثر
بشخصيته الكاريزمية، لذلك ودون تفكير ولا روية
قمت برثائه ضمن قصيدة عنوانها - القائد الخالد -
نشرت في جريدة النصر الاثنين 08 جانفي 1979 أي
بعد أقل من شهر على وفاته، و ما زلت محتفظا بتلك
الصفحة إلى يومنا هذا.

أما بخصوص كتاب الدكتور سعيد سعدي -
عميروش، حياة، ميتان، ووصية - **Amirouche** -
- **une vie deux morts un testament** فلم
يأت بجديد على الإطلاق، فقد سبق وبيّن مالك بن نبي
"أن فرنسا الاستعمارية تدرك خبايا الثورة أكثر من
قاداتها" هذا من جهة، ومن جهة أخرى لماذا عميروش
بالذات ؟ فماذا عن عبان رمضان وشيحاني بشير
وعباس لغرور والعموري وزعموم .. وغيرهم.

والكتاب في جوهره - حقيقة - لا يمثل سبقا
تاريخيا في البحث والتنقيب والتمحيص، حيث اعتمد
في اتهاماته على وثائق - أرشيف قصر فانسان -
Archive du châteaux de Vincennes ,
- arme de terre , service historique وهو
بذلك يعد تأريخا فرنسيا وليس جزائريا، يهدف إلى
التلاعب بالأحداث واستغلالها لأهداف مشبوهة لا تخدم
مستقبل هذه الأمة، لأن مستقبلها لا يعتمد على تزوير
التاريخ لخدمة مصلحة ذاتية آنية، وإذا كان ولا بد

فيجب إعادة النظر في تاريخ الحركة الوطنية من
1919 إلى 1962. قال شوقي :

واخدع الأحياء ما شئت فلن *** تجد التاريخ
من المنخدعين

هناك من يعتبر الثورة الجزائرية قوة جذب نحو
الخلف لا قوة دفع نحو الأمام، لماذا ذلك ؟

في الواقع لا تتحقق الوثبة الكبرى إلى الأمام إلا
بالنكوص إلى الخلف لاكتساب قوة الدفع، لذلك فالثورة
الجزائرية تبقى أهم محور يلتف حوله الجميع، وأكبر
مفاعل تستمد منه الطاقة لمواجهة تغيرات المستقبل،
وأعظم معين لنهل الوطنية. أما الجذب إلى الخلف
فيعزى إلى التخلف والتنكر للتاريخ والتشدد
بالشعارات الجوفاء كقولهم: "التاريخ إلى المزبلة".

في الجزائر، النقاش التاريخي يثيره السياسي
والمجاهد، يناقشه الإعلامي ويغيب عنه المؤرخ،
ماهي أسباب غياب المؤرخ عن النقاشات التاريخية ؟

سؤال وجيه فعلا يعكس نباهة متقدمة أتمنى لجذوتها الاستمرار، حيث يطرح فكرة جوهرية تتخبط فيها شعوب العالم الثالث خاصة النخبة المثقفة. فالتاريخ الذي صنعه الرجال وضحوا بكل ما يملكون، تتم مناقشته من قبل أشخاص كانوا بعيدين كل البعد عن الحدث وصناعته بل ومعظمهم كان في الظل، مقزمون أثناء الثورة وبعدها، وهنا وجب التذكير بما قاله الرئيس الراحل بومدين لهؤلاء أثناء حكمه بعد نظرة صارمة ثاقبة، ودقتان على المنصة، ليوظظ النائم وينبه الغفلان، حتى تتسرب الحروف عبر الأذن وتحدث صدى يبقى رنينه مدى الحياة: "حذار من كتابة التاريخ الشخصي"، ولكن بعد وفاته وبقدرة قادر تحول هؤلاء إلى فاعلين وصانعين ومنظرين، بل وعرايين ليس للثورة فحسب بل للتاريخ، وكذلك كان الشأن للكثير من - المؤرخين - الذين انضوا تحت راية الوطنية ولبسوا لبوس الثورة ونصبوا أنفسهم سدنة لها بهدف تحقيق المبتغى السياسي، فتم بذلك التهجين فأصبح المجاهد

والإعلامي والمؤرخ سياسيا، ولما كانت السياسة فن الممكن تبناها الجميع، ألا ترى أنك لو زرت حلاقا مثلا، فحالما يمسك رأسك بين مقص ومشط فأول شيء يقصه عليك هو الوضع السياسي، وقبل أن يمشط شعرك، يمشط لك أخبار الكرة الأرضية.

وعليه فإذا تحول التاريخ إلى مادة خام للنقاشات السياسية والإعلامية وحتى الشعبية فكبر عليه ثلاثا، حيث تتحول الأحداث المعلمية والمفصلية لتاريخ أمة إلى مجموعة من آراء ووجهات نظر آنية بل ومزاجية حرباوية تتلون بلون الطيف السياسي، فتفتقد الحقيقة في خضم هذا الطوفان الجدلي، وتتحول الأحداث التاريخية إلى أحداث ومواقع افتراضية معرّضة لنزوات الأفراد ومناحيهم .

هل يعاني المؤرخ الجزائري من منع البحث في مواضيع معيّنة، خاصة بتاريخ الجزائر، مثل موضوع الهولوكوست في الغرب ؟

ربما كان ذلك في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، حيث منعت بعض المؤلفات الموسومة بذاتها، كـ بعض مؤلفات مالك بن نبي ومحمد حردي وعبد اللطيف سلطاني ... وغيرهم، غير أنه ابتداء من ثمانينيات القرن نفسه صدرت العديد من الكتب التي لم يأبه مؤلفوها بالخطوط الحمراء نظرا ربما لهوس الشارع ومطالبته بضرورة كشف الحقيقة من جهة، ومن جهة أخرى رد فعل بعض من كتب مذكراته وحاول فيها أن يحلل الأحداث ويعلل أسبابها ودوافعها من خلال ما تعرض له بعد الاستقلال، وكانت مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة "شاهد على اغتيال ثورة" ربما من ضمن بواكير هذا الاتجاه؛ حيث صدرت عام 1990، وضمت العديد من العناوين الساخنة ما كانت لتذكر في الماضي، ثم شهدت الجزائر ما يشبه

تسونامي في كتابة المذكرات إلى يومنا هذا، فكان الكتاب عموماً وكأنهم رجال دين العصور الوسطى يصدرون صكوك الغفران لمن شاءوا، ويدخلون من شاءوا جهنم، يسودون هذا ويبيضون الآخر وهكذا.

درست التاريخ في الثانوي وكوّنت أساتذة هذه المادة، ما رأيك في تناول المقررات المدرسية لتاريخ الجزائر؟

قبل أن أتناول محتوى المناهج لتاريخ الجزائر في المدارس الجزائرية، يجب علينا أن نتوقف عند نقطة مهمة وملحة، تتمثل في تلك الأخطاء الفادحة والفاضحة في العديد من الأحداث والمعالم التاريخية وجملة من الإجراءات كالخرائط والاسلام التاريخية، التي عادة ما تكون موضوع سؤال في مختلف الفحوصات التربوية، والسبب يعود إلى الارتجال والتسرع وعدم التروي في اختيار الأكفاء للتصدي لمهمة التأليف.

أما المحتوى في حد ذاته أي المقررات، فهو مقبول على العموم من حيث الملمح والوسامة خاصة في المستوى الثانوي، أما المتوسط والابتدائي فأعتقد أنه مكثف بطريقة غير عقلانية، لذلك وجب إعادة النظر فيه وتكييفه وفق الأهداف والغايات الوطنية السامية، وعدم حشو رؤوس أبنائنا بتواريخ تعد في زماننا قصصا وحكايات أكثر منها تأريخا، حيث لا تساهم في بناء الشخصية الوطنية المستهدفة.

هل يمكن الاستفادة من التاريخ دون رفع القداسة عنه ؟

التاريخ هو التاريخ لا قداسة تحميه إطلاقا، لأن الحقيقة أبدا ساطعة، ومتى اعتمدت القداسة فقدت مصداقيتها وتحولت الحادثة التاريخية إلى أسطورة، والأسطورة تخلد الذكر وتمنح شحنة عاطفية لسامعها وقارئها ومشاهدها، ولكنها لا ترقى إلى الحقيقة، فالإيالة هواميروس والإيالة فرجيل تبقيان خيالا جذابا للإنسانية،

وغزو الاسكندر الأكبر المقدوني للشرق، وفتح المسلمين للشرق والغرب، والحركة الاستعمارية، حقيقة ذات آثار بالغة على الإنسانية إلى يومنا هذا.

والتاريخ الإسلامي مليء بالأمثلة، فحادثة الإفك - على سبيل المثال لا الحصر- مذكورة في القرآن الكريم، تناقش من قبل الجميع دون حرج ولا امتعاض، والمؤرخون المسلمون في تدويناتهم التاريخية لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا وأشبعوها بحثًا وتجريحا، كحادثة إهانة سيدنا عقبة للملك الأمازيغي كسيلة "ستريتيد بن لمزم"، وعليه فإن الاستفادة من التاريخ تحصل ما لم يحدث تشويه وتزوير للحقائق، كادعاء المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني في كتابه "حياة كفاح" أنه هو صاحب مقولة "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، وقد ردّ عليه الأستاذ محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف والتزوير في كتاب حياة كفاح".

بعض المؤرخين ينتقصون من قيمة الكتابات التاريخية المؤلفة من قبل غير أهل الاختصاص، بحجة عدم الاعتماد على المنهجية التاريخية، كيف يمكن الاستفادة من كتابات هؤلاء ؟

إن كتابة التاريخ - في الواقع - لم تكن في يوم من الأيام حكرا على فئة معينة ومحددة، فمنذ زمن طويل والمؤرخون والرحالة كانوا متعددي المواهب والمشارب.

أما اليوم فقد يمتلك غير المختصين الوسائل والإمكانات التي تذلل لهم دروب البحث وتجعلها سالكة، حيث وسم هذا العصر بالسرعة الفائقة في تواتر الأحداث وندفقتها، بحيث يصعب على المؤرخ مواكبتها بسهولة ودون إمكانيات متوفرة متقيدا بالمنهجية التاريخية المعتمدة، لذلك فرض عليه الاعتماد على كتابات غير أهل الاختصاص، خاصة إذا

كانوا من صانعي الحدث أو إعلاميين مشهود لهم
بالكفاءة في هذا المجال.

ويتمثل دور المؤرخ في تجميع المادة التاريخية
وتمحيصها ومقارنتها ومطابقتها ثم ترتيبها وتعليلها
وتحليلها مع مراعاة الحقبة الزمنية وظروفها الداخلية
والخارجية.

نشر بجريدة النصر: 27 سبتمبر 2011.

الباحث الأنثروبولوجي الدكتور مختار رحاب:

"ينّاير هو جزء أو عنصر من عناصر الحقل

الثقافي الجزائري"

"الاحتفال بيناير يساهم في الحفاظ على حياة

واستمرار مكونات الذاكرة الجماعية للمجتمع الوطني

الجزائري"

يتأسف أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة خنشلة د.

مختار رحاب لانتشار واتساع آفة النسيان تجاه

الموروث الثقافي الجزائري، ويصنف عادة يناير

ضمن هذا الموروث. هذه العادة التي يحتفل بها في

مختلف أنحاء بلاد المغرب مع بعض الاختلافات

البسيطة من منطقة إلى أخرى، ويرى الباحث أن

الثقافة الجزائرية تتميز بالتجانس، الثراء والتنوع:

منذ 2962 سنة وسكان بلاد المغرب يحتفلون ببنّائر أو ينّار: ما هي العوامل التي تؤدي إلى استمرار أو زوال عادة من العادات؟

عموما هناك عادات لدى المجتمعات تزول أو
تندثر وتصبح في سجل التاريخ، وهناك عادات تقاوم
النسيان ردحا من الزمان، وهناك عادات أخرى لها
مناعة خاصة، فرغم مرور الأزمان ووقوع أحداث
مفصلية غير أنها تتشبث بالاستمرار والحضور في
الزمان والمكان، ولعل من أبرز الأسباب في ذلك هو
القيمة التي تحملها تلك العادة من حيث ارتباطها بأمر
مقدسة، أو غناها بأبعاد رمزية متنوعة، أو ارتباطها
بالزمن الذي يعتبر أحد العوامل الأساسية لقيام
الحضارة، أو ما تقدمه من نفع للإنسان ومساعدته في
تحقيق حاجياته وبعض غاياته سواء أكانت مادية أو
معنوية.

ينّـاير عادة تنقسم إلى ممارسة واعتقاد، وإذا
كان سكان بلاد المغرب يمارسون هذه العادة إلى غاية
اليوم، فهل تغيّر الاعتقاد المصاحب لممارسة عادة
ينّـاير؟

برأيي أن الاعتقاد الذي كان مصاحبا لطقوس
الاحتفال بينار في الزمن الماضي قد طرأت عليه
تغيرات لا سيما عندما وصل الإسلام إلى شمال
إفريقيا، واعتناق سكان المغرب لديانة الإسلام، فأثرت
ديانة التوحيد على المعتقدات عامة التي كانت سائدة
لدى السكان. وبالتالي الاعتقاد الخاص بيناير لا سيما ما
تعلق منه بممارسات تمس بالاعتقاد السليم بقضايا
المنح والعطاء.

يحتفل بيناير في مختلف بلدان المغرب، ماهي القراءة الأنثروبولوجية لاشتراك شعب ما في ممارسة عادة معينة ؟

يحتفل في مختلف أنحاء بلاد المغرب بمناسبة
يناير مع بعض الاختلافات البسيطة من منطقة إلى
أخرى، وقوة تركزها وتركزها كذلك من جهة لأخرى
داخل القطر الواحد. غير أن ما يفسر انتشار عادة يناير
عبر هذا المجال الجغرافي عوامل متعددة لعل من
أبرزها هو ارتباط يناير بعامل الزمن وهو أحد العوامل
الأساسية والمكونات الرئيسية لقيام الحضارة، وكان
يناير قد ارتبط بعامل التقويم الزمني الأمازيغي، كما
كان ينظر إليه كفاتحة لسنة فلاحية جديدة مثمرة
معطاءة لا سيما في مرحلة يمكن تصنيفها ضمن ما
يسميه علماء الاجتماع بالموجة الزراعية. هذا
بالإضافة إلى العامل التاريخي وهو تخليد ملحمة
انتصار شيشنق على رمسيس فرعون مصر.

الاحتفال بيناير متشابه في مختلف أرجاء الجزائر، ماهي دلالات هذا التشابه ؟

تشابه الاحتفال بيناير لدى الجزائريين له مجموعة من الدلالات لعل من أبرزها هو القيمة والدلالة التي تحملها هذه المناسبة؛ حيث تنوعت بين قيم كانت مشبعة في فترة ما بأنها مصدر المنح والعطاء، مما حمل الإنسان في ذلك الزمن على تقديم طقوس الولاء والإرضاء، وقيم تاريخية ملحمية تمثلت في النصر الذي أحرزه الأمازيغ على الفراعنة. هذا بالإضافة إلى التجانس الذي تمتاز به الثقافة الوطنية الجزائرية وما له من دور في إثراء الحقل الثقافي الجزائري.

يجمع بيناير بين (انتصار شيشنق الأمازيغي على فرعون مصر رمسيس الثالث حوالي 950 ق م وتأسيسه الأسرة 22) والتقويم الفلاحي؛ حيث يعتبر بيناير بداية السنة الأمازيغية بالاعتماد على التقويم

الفلاحي الشمسي (تقويم جوليان)، هل لارتباط سكان بلاد المغرب بالفلاحة دور في رسوخ هذه العادة ؟

بلا شك، كما ذكرت في الجواب عن سؤالكم الثالث كان ينظر ليناير كفاتحة لسنة فلاحية جديدة مثمرة معطاءة لا سيما في مرحلة كانت تمثل فيها الزراعة النشاط الرئيسي والهام لدى الإنسان.

كيف يحتفل بيناير في ولاية المسيلة؛ حيث ولدت ونشأت ؟

في حقيقة الأمر ولدت ونشأت بمنطقة الحضنة، وتحديدًا في منطقة مقرة بلاد العالم والمؤرخ المقرّي، الذي هاجرت أسرته من مقرة إلى تلمسان، ويتم الاحتفال بهذه العادة تحت مسمى "راس العام" حيث تقام العديد من الطقوس لا سيما في الأرياف مشابهة تمامًا لطقوس يناير خصوصًا ما تعلق منها بصيانة المنازل وإعداد الوجبات الغذائية، بالإضافة إلى التشابه في التقويم الزمني لا سيما في تقسيم ووصف أيام

وأسابيع، وأشهر فصول السنة خاصة فصلي الشتاء والربيع وهما فصلان يشكلان فترة هامة للسنة الفلاحية، غير أن ما يؤسف له هو انتشار واتساع آفة النسيان تجاه هذا الموروث الثقافي الهام من ثقافتنا الوطنية.

وفدت على بلاد المغرب عدة ثقافات، هل أثرت هذه الثقافات على طقوس ممارسة هذه العادة ؟

كل الثقافات الإنسانية عبر التاريخ تقوم بعملية الأخذ والعطاء، وبقدر ما تمتلك كل ثقافة من بدائل لتلبية حاجات الإنسان المادية والمعنوية يكتب لها الاستمرار والانتشار، فعادة أو مناسبة يناير شأنها شأن العديد من العناصر الثقافية المكونة للثقافة الجزائرية قد أحرزت الانتشار، كما تعرضت للتأثر هي الأخرى، هذا بالإضافة إلى ما تشهده العديد من الثقافات من تحول وتغير لا سيما في عصر العولمة.

**التراث الشفوي ليناير غني من حيث القصص،
الأمثال، المعتقدات..، كيف يمكن الاستفادة من هذا
التراث ؟**

التراث الشفوي حول يناير حقيقة كثير ومتنوع
بين القصص، والأساطير، الأمثال، وكمثال على ذلك
يقال " ينار بوسبع قلبات في النهار " وغيرها من
المرويات الأخرى. والاستفادة من هذا التراث الشفوي
حول يناير؛ أن هذه العناصر الشفوية تساهم في حفظ
هذه المناسبة من الزوال والاندثار، وتحقيق لها
الاستمرار من جيل إلى جيل، هذا بالإضافة إلى أنه
يمكننا استرجاع مشاهد وطقوس وجزئيات من حياة
الزمن الماضي. بالإضافة إلى الحفاظ على حياة
واستمرار مكونات الذاكرة الجماعية للمجتمع الوطني
الجزائري.

أخيرا، هل للاحتفال بيناير علاقة بموضوع الهوية ؟

الاحتفال بيناير هو جزء أو عنصر من عناصر الحقل الثقافي الجزائري الذي يمتاز كما ذكرت آنفا ببراء وتنوع يفوح بنكهة خاصة في عالم العولمة الذي يحمل أمواجا قوية، لها القدرة على اقتلاع ثقافات إن لم تحقق تواسلا وتبادلا مع محيطها وانتمائها الحضاري العام.

نشر بجريدة النصر: 14 فيفري 2012.

الباحث في التصوف سعيد جاب الخير:

"العداء التاريخي بين "جمعية العلماء"

والطرق الصوفية هو عداء سياسي لا علاقة له

بالدين"

"بعد الاستقلال، تنكّرت الجزائر للطرق الصوفية

وتبنّت التوجه الإصلاحى السلفى الوهابى"

يرى الباحث في التصوّف، الأستاذ سعيد جاب

الخير، أنّ الإحسان هو محتوى التصوف، ويشيد - في

هذا الحوار - بدور الزوايا في توقيف العنف الذي وقع

في الجزائر خلال عشرية التسعينيات من القرن

الماضي.

يستغرب مؤلف كتاب "التصوف والإبداع"،

الصادر سنة 2007، عن دار المحروسة والناشرون

المصريون في القاهرة، وجود عشرات المكتبات - في

الجزائر - التي تبّيع الكتب التي تروّج للخطاب السلفى

الوهابي الجهادي التكفيري، ويدعو التيار الإصلاحي إلى المراجعة الجدية والعميقة لمواقفه من التصوف والطرق الصوفية، بهدف الرجوع إلى المرجعية الدينية الأصيلة للجزائر، وتحصين البلد ضد التيارات الأصولية المتطرفة.

يحمل الباحث شهادة الليسانس في الفلسفة والشريعة وأصول الدين من جامعة الجزائر(1994)، له تجربة في الصحافة المكتوبة (أشرف على الأقسام الثقافية في العديد من الصحف داخل وخارج الجزائر، مع تجربة سنتين كمحرر ثقافي بجريدة الخليج الإماراتية) ، والصحافة المسموعة (القناة الإذاعية الأولى، بثمانية برامج ثقافية آخرها "ناس الحضرة" الذي يبث حاليا)، والصحافة المسموعة والمرئية (تلفزيون كنال الجيري؛ حيث يعد ويقدم ركنا خاصا بالتصوّف ضمن برنامج:

.Bonjour d'Algérie

الباحث متخصص في مجال التصوف والطرق الصوفية والفن الصوفي. له عدة أبحاث في هذا المجال بعضها منشور في الصحف الجزائرية. كما صدر له كتاب جديد بعنوان: "الطرق الصوفية في الجزائر، دراسات وأبحاث"، الجزائر 2012. أسس الباحث الموقع الإلكتروني "ولاد سيدي" المتخصص في الأديان والتصوف، باللغتين العربية والفرنسية، ويشرف عليه:

الكلّ يدعي التصوف، فما هو المعنى الحقيقي للصوفية ؟

التصوف هو البعد الروحاني في الإسلام، وهو الجوهر الحقيقي للإسلام. ومعروف أن التدين عند المسلمين يتحرك في ثلاثة خطوط وردت في الحديث الشهير بحديث جبريل (عليه السلام) الذي أخرجه البخاري، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان. فالإحسان

هو محتوى التصوف وهو الذي يمثل البعد الثالث في الدين أو المرحلة الثالثة التي تأتي بعد الإسلام (الأعمال الظاهرة التي يقوم بها الإنسان) والإيمان (الأفكار التي يؤمن بها الإنسان). فالنبي صلى الله عليه وآله عرّف الإحسان في الحديث المذكور على أنه "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". والصوفية يقرأون العبارة النبوية هكذا "فإن لم تكن، تراه". أي كلما انخفض ضغط الجسد والمادة، ارتفع وتجلّى خط الروح والمشاهدة الروحانية. وهذا هو في النهاية معنى "التحقق" الذي جاء في قول الإمام مالك رحمه الله: "من تفقه وتصوف فقد تحقق". والتحقق هو غاية كل إنسان، ولا يكون التحقق إلا عبر جسر التربية والتدريب الروحاني، وهي التي نسميها التصوف. فالتصوف في النهاية ليس سوى مجموعة المدارس والمنهجيات التربوية الروحانية في الإسلام، تماماً كما هي المدارس أو المذاهب الفقهية بالنسبة إلى الجانب التشريعي. فكما تتعدد مناهج ومذاهب الفقهاء، كذلك

تتعدد طرق ومناهج التصوف. ومن هنا نشأت الطرق الصوفية التي يعتبر اختلافها تنوع وثراء لا اختلاف تناقض وصراع، والأمر كذلك بالنسبة للمذاهب الفقهية. والجميع في النهاية يستمد من المنبع الأول وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم. تبقى مسألة المصطلح (التصوف) الذي لم يكن موجودا في بداية القرن الأول الهجري على أغلب الآراء، لكن العبرة بالمحتوى ولا مشاحة في الاصطلاح. وفي النهاية نجد أن كثيرا من العلوم التشريعية ومسمياتها (مثل الفقه والحديث والرواية والدراية وعلوم النحو والبلاغة وغيرها) لم تكن موجودة على عهد الصحابة رضي الله عنهم، لكن مضامينها كانت موجودة.

بوصول الرئيس عبد العزيز بوتفليقة للحكم سنة 1999، أعيد الاعتبار للزوايا في الجزائر، ماذا حققت هذه الزوايا منذ ذلك التاريخ ؟

الدولة الوطنية بعد استقلال الجزائر، تنكرت للطرق الصوفية بعد أن تبنت التوجه الإصلاحي السلفي الوهابي كخطاب رسمي لها، ممثلا في ما تبقى من رموز "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" التي كان خطابها وبشهادة نصوصها وأرشيدها، أقرب إلى المهادنة والاندماج مع المحتل الفرنسي، منه إلى الوطنية والمقاومة والثورة، وهو الخط الذي تبناه كل من نجم الشمال الإفريقي وحزب الشعب ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وفي هذا الإطار، تمت مصادرة أملاك الزوايا والطرق الصوفية بعد الاستقلال، ومنع نشاطها بل وسجن بعض شيوخها مثل الشيخ المهدي بن تونس والد الشيخ خالد بن تونس، الشيخ الحالي للطريقة العلاوية في الجزائر. لكن بعد رحيل الرئيس هواري بومدين زالت بعض الضغوط

التي كانت مفروضة على الطرق الصوفية، ومع مجيء الرئيس بوتفليقة إلى السلطة، انفتح المجال أمامهم؛ حيث أصبحت لهم حرية العمل مثل غيرهم من الجمعيات الثقافية في إطار القوانين السارية في البلد. فالتطرق للصوفية عادت بعد تغييب تعسفي طويل وقع ضدها، وهي منذ 1999 وحتى الآن تحاول لملمة شتاتها واستعادة نشاطها بعد هذا التغييب التعسفي الطويل الذي وقع ضدها. لذلك أقول يكفي الطرق الصوفية من الإنجازات أنها ساهمت وبشكل فاعل في توقيف العنف الذي عاث في البلد خلال تسعينيات القرن الماضي. وأتصور أنه مع فشل الخطابات والمشاريع الأصولية بعد العشرية الدموية التي عاشتها الجزائر وما تزال تعيش بعض مضاعفاتها، أصبح الشعب الجزائري اليوم، أكثر التفافا حول الثقافة الدينية الصوفية التي تتميز بالفطرية والشعبية والبساطة والانفتاح على جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية،

بل وحتى على الآخر المختلف الذي لا ينتمي
بالضرورة إلى دائرتنا الحضارية.

توجد في الجزائر مجموعة من الزوايا، ماهي
خارطة انتشارها وطنيا؟ وفيما تتمثل الفروقات
الموجودة بين هذه الزوايا ؟

الاختلافات الموجودة بين الطرق الصوفية ليست
أكثر من الاختلافات الموجودة بين المذاهب والآراء
الفقهية في الجانب التشريعي. واختلاف الطرق
الصوفية هو اختلاف تنوع وثرء، لا اختلاف تناقض
وصراع، تماما كما هو اختلاف الفقهاء والمحدثين
والمفسرين في إطار علوم الظاهر. وغالبا ما يكون
التنوع في الطرق الصوفية في جانب أوراد الذكر (مع
ملاحظة أنها كلها من مرويات السنة النبوية الشريفة)
أو في مناهج وأساليب التسليك الروحاني للوصول إلى
مرتبة الإحسان المذكورة في حديث جبريل. على سبيل
المثال نجد الطريقة الرحمانية الخلوتية، تنتهج أسلوب

الخلوة والذكر بالأسماء الإلهية السبعة. وكما قلت سابقا، جميع الطرق الصوفية في مناهجها وأورادها تستقي من النبع النبوي الشريف. أما عن خارطة انتشار الزوايا على المستوى الوطني، فمن المؤسف أننا لا نملك لحد الآن إحصائيات وأعمالا مسحية بالمعنى الدقيق للكلمة.

تاريخيا، العلاقة بين الزوايا وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تميّزت بنوع من العداء منذ ظهور الجمعية التي اتهمت الزوايا بممارسة الشعوذة وخدمة فرنسا، ما هي الخلفيات الحقيقية لهذا العداء؟

قاومت الطرق الصوفية الاحتلال الفرنسي الذي أشعلت ضده عدة ثورات، كانت أولاها المقاومة البطولية التي قادها أبناء الطريقة الرحمانية على أسوار الجزائر المحروسة (العاصمة) ضد جنود الاحتلال الفرنسي؛ حيث استشهد 17.000 (سبعة عشر ألف مجاهد)، كلهم جاءوا براياتهم وأسلحتهم من

منطقة القبائل ليدافعوا عن الجزائر، ومن بعد ذلك جاءت ثورة الأمير عبد القادر وهو من الطريقة القادرية، ثم جاءت عشرات الثورات والانتفاضات الأخرى التي قادها الصوفية، من بينها ثورة لالة فاطمة نسومر الشريفة ابنة الطريقة الرحمانية، والتي هزمت وحدها سبعة جنرالات فرنسيين.

لذلك لا يمكننا أن نقبل بحكاية تواطؤ الزوايا والطرق الصوفية مع الاحتلال الفرنسي. وحتى الطريقة التجانية التي يركّز عليها البعض في هذا الجانب، نجد عند البحث الدقيق أنها ساهمت في المقاومة الشعبية وحتى في الثورة التحريرية الكبرى، حيث انتسب إليها مجموعة من وجوه المقاومة الشعبية أمثال المقدم سيدي الطاهر بوطيبة وتلاميذه (ت 1878)، والشيخ حمّاه الله بن محمد، والشيخ يعقوب سلا، والشيخ أحمد بوعزة البكوش، والشيخ سيدي العيد الثاني، والمقدم سيدي العيد بن يامة. كما انتسب إلى التجانية عدد من كبار علماء الجزائر الذين كانوا

يرفضون الاحتلال جملة وتفصيلا بل ويعملون على مقاومته، أمثال العلامة الشيخ عبد الحليم بن سماية، والعلامة الشيخ حمدان لونيسي، والعلامة الشيخ أحمد بن رابح طالب الندرومي، والشاعر محمد العيد آل خليفة، وعميد الصحافة الجزائرية المقدم عمر بن قدور. ذكرت هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر.

استمرت المرجعية الدينية الجزائرية (ممثلة في الزوايا والطرق الصوفية) ثابتة على خط المقاومة بعد الاحتلال الفرنسي، الأمر الذي جعل المحتل ينطلق في أكثر من أسلوب من أجل تشويه صورة الطرق الصوفية التي أذاقته الأمرين حتى تمكن من إخماد نار المقاومة. ومن المؤسف حقا، أن هذه المهمة قامت بها جزئيا الحركة "الإصلاحية" ممثلة في "جمعية العلماء" من حيث تدري أو لا تدري، عندما استوردت لنا الخطاب الوهابي السلفي الغريب تماما عن المرجعية الدينية الجزائرية التي وصفها ابن عاشر بقوله: "في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد

السالك"؛ حيث نجد أن خط "الإصلاح" انطلق ضد مفردات العقيدة الأشعرية والتصوف، وميدانيا عمل على هدم المرجعية الصوفية الأصيلة ولم يُنتج في المقابل أي بديل. "الإصلاحيون" شكّوا الجزائريين في مرجعيتهم الدينية، ولم يطرحوا البديل المؤسس لتلك المرجعية (حيث لم يكونوا يملكون سوى خطابات، وما يزالون هكذا حتى اليوم) تاركين الساحة فريسة سهلة ونهبا للوهابية المتوحشة التي دخلت لتكرّس ذهنيات التعصب والوثوقية والإطلاقية والتكفير والإقصاء، التي بالنتيجة تنتج العنف الاجتماعي بشكل حتمي، وهو ما شهدناه وعاشناه واكتوينا بناره في مرحلة التسعينيات الدموية سيئة الذكر. ومع ذلك كله، نلاحظ أنه كان للجزائر مفت واحد لكل مذهب على عهد الاحتلال الفرنسي.

هذا الإشكال الذي ظهر قبل الاستقلال، لم يكن ليهز الصرح الديني المرجعي في الجزائر، لو تركت حرية النشاط للطرق الصوفية بعد الاستقلال. لكن ما

حدث، هو أن الدولة الوطنية تبنت الخطاب الإصلاحي في نصوصها الرسمية وإعلامها وبرامجها التعليمية والثقافية، وذلك من باب المناورة السياسية ومحاولة استمالة المعارضة الإسلامية الأصولية الراديكالية ممثلة في جناح من بقايا "جمعية العلماء".

في المقابل قمعت السلطة الخطاب الصوفي ومؤسسة الزاوية التي تمثله، ما فتح المجال واسعا أمام الاختراق الوهابي السلفي للفضاء الديني في الجزائر، وهو ما حدث من خلال ملتقيات الفكر الإسلامي والبعثات التعليمية (مدفوعة التكاليف بنسبة مائة بالمائة من طرف السفارة السعودية) نحو المشرق وبخاصة الحجاز أي المملكة العربية السعودية، والكتب والمجلات الدينية التي تمولها المملكة وتوزعها الدولة الجزائرية دون حسيب أو رقيب؛ حيث قوي الخط السلفي الوهابي، وبدأنا نشهد ما سُمي آنذاك (مطلع الثمانينيات) المساجد الحرة التي يُفتي المدرّسون فيها على خلاف الفتوى المالكية، لتنتلق حرب الفتاوى

حول مفردات التوحيد والصلاة والصيام وصندوق التوفير والحجاب والموسيقى والعادات والتقاليد والسنة والبدعة وغيرها، ومن بعدها حرب المساجد التي دارت رحاها بين الحركات الإسلامية حول من يسيطر على الفتوى والتدريس والتوجيه في المساجد الحرة.

لهذا كله أقول: إن العداة التاريخي بين "جمعية العلماء" وبين الطرق الصوفية هو عداة سياسي لا علاقة له بالدين، وإنما اتُخذت المسألة الدينية (في قضية ما يسمى السنة والبدعة) غطاء لهذا العداة السياسي. لأن "جمعية العلماء" التي تقول نصوصها التأسيسية "إنها لا تشتغل بالسياسة"، هي في الواقع كانت غارقة في السياسة، يؤكد ذلك المرحوم مالك بن نبي في مذكراته وغيرها من كتبه. ولا يتسع المجال للدخول في تفاصيل هذه المسألة، وقد فصلتها في العديد من مقالاتي وأبحاثي المنشورة في الصحافة الوطنية. وعندما نبحث وندقق في الجانب الديني من المسألة، نجد أن "العلماء" لا يملكون الحجة الدينية على

الصوفية بالمعنى المطلق. وإنّ أقصى ما يمكن أن يقال في هذا الجانب، هو أن لـ"العلماء" رأيي، وللصوفية رأيي، وكلاهما يملك الشرعية الدينية. هذا أقصى ما يمكن أن يقال في المسألة. لذلك أدعو التيار الإصلاحي ممثلاً في "جمعية العلماء" إلى المراجعة الجدية والعميقة لمواقفه من التصوف والطرق الصوفية، بهدف الرجوع إلى المرجعية الدينية الأصيلة للجزائر، وتحسين البلد ضد التيارات الأصولية المتطرفة.

تم تشجيع الزوايا لسحب البساط من التيار السلفي عموماً وما يعرف بالتيار الجهادي بشكل أخص، هل تحقق هذا الهدف؟

التوجه السلفي الوهابي بفرعيه "الجهادي التكفيري" و"العلمي"، أتصور أنه لم يعد يحتاج إلى محاربة، على الأقل في الجزائر، لأنه حارب نفسه بنفسه، وأسقط نفسه بنفسه من خلال مئات الآلاف التي أزهرها من أرواح الجزائريين الطاهرة عندما أفتى

قادته وأفتى معهم أعوانهم من شيوخ وأبواق السلفية والوهابية في المشرق، بوجوب أن يقاتل الجزائري أخاه الجزائري، وبالتالي فهم مسؤولون عن الأرواح التي أزهقت بشكل أو بآخر مهما اختلفت التحالفات والقراءات والرؤى حول خلفيات وأسباب الأزمة التي مرت بها الجزائر. ومع ذلك أقول إنه ما يزال يوجد الكثير من التساهل من طرف النظام الجزائري في محاربة هذا الخطاب السلفي الوهابي التكفيري العدمي، الذي يدعي الوثوقية وامتلاك الحقيقة المطلقة واحتكار صكوك الجنة من خلال مقولة "الفرقة الناجية" وتكفير الآخرين.. فأنا مثلا لا أفهم، بعد العشرية الدموية التي شهدتها الجزائر وراح ضحيتها مئات الآلاف من الأبرياء، كيف أنه ما تزال في العاصمة عشرات المكتبات التي لا تباع سوى الكتب التي تروج للخطاب السلفي الوهابي الجهادي التكفيري ؟ ومن الذي يمنح التراخيص لتلك المكتبات التي تتكاثر مثل الفطر ؟ كما أنني لا أفهم لماذا تخاف السلطة في الجزائر من فتح

نقاش واسع وصريح على مستوى وسائل الإعلام كلها
حول جذور ومفردات هذا الفكر العدمي المتخلف ؟

تدّعي الزوايا الابتعاد عن السياسة ولكنها تدعو
للمشاركة في الانتخابات، كيف تفسر هذا التناقض ؟

أحبّ أن أوضح هنا أنني لا أعبر سوى عن رأيي
الخاص الذي لا يلزم أحدا غيري. على هذا الأساس
أقول: أنا لا أرى أنه من مصلحة الزوايا أن تتدخل في
الشأن السياسي. لكنني في الوقت نفسه ألاحظ أن بعضها
يدعم المسارات السياسية التي يرى أنها تصب في
مصلحة البلد. هذا نهجهم وهم أحرار فيه. لكنني شخصيا
لا أحبذ ذلك. أتصور أن الطرق الصوفية والزوايا
ينبغي أن تكون مستقلة عن السلطة والسياسة بأقصى ما
يمكن، حتى لا تفقد مصداقيتها في الجانب المرجعي
الديني والروحاني.

ماذا يمكن أن تقدمه الزوايا للمجتمع الجزائري الذي يعاني جزء منه من عدة أمراض اجتماعية ونفسية هذا من جهة، ومن جهة ثانية طغيان المادة ؟

في هذا الإطار كنت قدمت مجموعة من المقترحات إلى الملتقى الذي نظمته زاوية سيدي سالم الرحمانية بالوادي حول موضوع "دور الزوايا في المحافظة على المرجعية الدينية والشخصية الوطنية".

ومنها: ضرورة تجديد دور الزوايا والطرق الصوفية، رؤيتها وأدواتها ووسائلها، في جميع المجالات: الروحانية والتعليمية والعلمية والثقافية والإعلامية والاجتماعية وغيرها، وصولا إلى إيجاد نخبة صوفية جزائرية ذكية، ما يزال ينتظرها الكثير من العمل والكثير من الجهد العلمي البحثي الأكاديمي، من أجل تأسيس خطاب صوفي جديد يتمكن من استقطاب الجيل الجديد ويسلط الضوء على مختلف الجوانب المتعلقة بالثقافة الصوفية وعلاقتها بالواقع الجزائري في جميع أبعاده، التاريخية والراهنية والمستقبلية. ومنها ضرورة

تجمع الزوايا والطرق الصوفية في هيكل تمثيلي حقيقي
له رؤية مشتركة وبرنامج عملي واضح.

ومنها ضرورة كتابة ونشر تاريخ الزوايا في
الجزائر وعلاقتها بمختلف أوجه العمل الوطني
والحركة الوطنية، وذلك من خلال الوثائق المتوفرة
على المستويين الداخلي والخارجي. ومنها ضرورة
الارتفاع بالزوايا إلى دورها السابق بوصفها مرجعية
دينية علمية وروحانية واجتماعية ثقافية، وذلك من
خلال تأسيس معاهد حقيقية على مستوى عال من
الكفاءة العلمية والروحانية، بالتفاعل مع مختلف
القدرات والكفاءات الوطنية والمغربية والعربية
والعالمية في هذا المجال، لأن التصوف لا ينبغي أن
تحده الحدود الجغرافية.

ومنها ضرورة تجديد أساليب ومنهجيات العمل
على مستوى الزوايا والطرق الصوفية، من أجل تغيير
الصورة النمطية السلبية التي توحى بالتوقع على

الذات والجمود والانغلاق، والموجودة في أذهان الشباب حول الزاوية، من أجل الانفتاح على الواقع والانخراط أكثر في نشاط المجتمع المدني والاقتراب أكثر من رؤية وطموحات وآمال الأجيال الجديدة من الشباب الجزائري، وذلك من خلال الانخراط في العمل الجماعي بأساليبه الحديثة وتأسيس المكتبات ومراكز البحث وفضاءات الأنترنت والنوادي الثقافية والعلمية المنفتحة على النقاش والحوار الحر والبناء في مختلف المواضيع التي تقترب من انشغالات الشباب. وعلى مستوى المنظومة التربوية : المطالبة بتدريس التصوف ولو كمدخل عام ملحق بالتربية الدينية، وذلك في جميع مراحل التعليم.

هناك من يرى بأنّ التصوف مقترن بالصحراء أكثر من التلّ وبالشيوخ أكثر من الشباب، كيف هي علاقة الشباب الجزائري بالتصوف ؟

بالنسبة إلى الشيوخ والشباب، أنا أرى العكس
لأنني أتنقل إلى الزوايا في جميع المناطق الجزائرية،
شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وأجد عدد الشباب يعادل
أو يفوق عدد الشيوخ. وعموما أتصور أن ثمة تعطشا
إلى التصوف بين الشباب الجزائري. لكن حتى يقترب
الشباب أكثر من التصوف، لا بد من تحرير الكلمة
الصوفية والسماح لها بولوج المنابر الإعلامية أو
بتأسيس منابر حرة تنقل خطابها إلى المجتمع ككل
والشباب منه بصفة خاصة. وانطلاقا من تجربتي
المتواضعة في المجال الإعلامي والبحثي ومشاركاتي
في الندوات والملتقيات، أجد أنني كلما تحدثت عن
التصوف يفتح الحوار وتطرح الأسئلة حول ماهية
التصوف وتاريخه ومدارسه وشيوخه وواقعه
ومستقبله. الشباب راغبون في المعرفة والحوار، لكن

المنابر في الجزائر مع الأسف مغلقة أو شبه مغلقة في وجه الكلمة الصوفية، إلا ما قلّ وندر.

**تقدم برنامجا إذاعيا حول الغناء "الصوفي"،
هل من تفاصيل أكثر حول هذا الفن ؟**

أقدم للقناة الأولى في الإذاعة الوطنية الجزائرية، برنامج "ناس الحضرة" الذي يبث كل جمعة ابتداء من الثانية مساءً، يهتم بالموسيقى والسماع الصوفي. وهو برنامج أقدم فيه خلاصات أبحاثي النظرية والميدانية في هذا الجانب الذي اعتبره خزاناً كبيراً للتراث الروحاني الوطني، كما أنه رافد أساسي من روافد الثقافة والهوية الوطنية. والفن الصوفي هو "السماع" بمصطلحات القوم، وهو فن يمارس غالباً في "الحضرة" التي هي مجلس ذكر ليس أكثر. وتأتي أهمية السماع الصوفي الجزائري من تنوع طبوعه الفنية، حيث نجد على سبيل المثال أن مدرسة الطريقة العيساوية تتحكم في جميع طبوع ومقامات المألوف

بشكل رائع وبنصوص صوفية أصيلة تختلف عن نصوص النوبة الأندلسية، مع العلم أنه حتى النوبة الأندلسية عند البحث العميق، هي ذات جذور صوفية سماعية كما تقول الكثير من الدراسات الأكاديمية. فالشيوخ الذين يؤدون الفن العيساوي أو السماع العيساوي، على سبيل المثال، كانوا قديما هم أساتذة المالوف والنوبة الأندلسية أيضا، سواء في قسنطينة والشرق عموما، أو في الجزائر العاصمة أو حتى تلمسان. قديما لم يكن ممكنا أن يتخرج أحد في المالوف القسنطيني إلا إذا مر على المدرسة العيساوية. وقد كنت وما زلت أطالب بتأسيس معهد وطني للموسيقى الصوفية أو الغناء الصوفي أو السماع الصوفي الجزائري، وذلك حتى نتمكن من إخراج هذا التراث الوطني الرائع إلى العالم عن طريق شيوخ وفنانين متخصصين في هذا الشأن ومسلحين بالأدوات الموسيقية العلمية.

مشيخة الطرق الصوفية شبه محتكرة من قبل الرجال دون النساء، ما هي أسباب ذلك ؟

الواقع أن المسألة ليست مسألة احتكار بقدر ما هي مسألة ظروف تاريخية فرضت هذا الواقع. ومع ذلك عندنا نماذج من نساء جزائريات استلمن مشيخة الطرق الصوفية. ويمكنني هنا أن أذكر على سبيل المثال لا الحصر، لالة زينب بنت سيدي محمد بن بلقاسم التي استلمت مشيخة الزاوية القاسمية في الهامل بعد وفاة والدها، وكانت احتراماً لمقام والدها ورجال العائلة القاسمية، لا توقع "شيخة الزاوية" بل توقع "قائمة مقام الشيخ"، مع أنها كانت في الواقع تمارس مهام شيخ الزاوية. وعندنا مثال آخر من طريقة سيدي بلال أو "قناوة" كما تسمى أيضاً، حيث نجد أنهم في مستغانم كانت عندهم "مقدمة" تسمى لالة الزهور. ففي الطرق الصوفية ليس ثمة منع أو تحريم أن تكون الشيخة امرأة، لكن المسألة غالباً ترتبط بظروف وملايسات واقعية ترتبط بالثقافة والتاريخ وتتأثر حتماً

بطبيعة المجتمعات العربية والإسلامية منذ القرن الأول الهجري، وهي مجتمعات بتريائية (أبوية أو ذكورية) في الغالب.

يعتقد البعض بأن أتباع الزوايا يقدّسون ما يعرف بالأولياء الصالحين ويعتقدون بقدرتهم على تحقيق الرغبات كما يمارسون بعض الطقوس القريبة من الوثنية، بم ترد على هذا القول ؟

ليس في الطرق الصوفية شيء اسمه وثنية، كما إن الصوفية لا يعتقدون بأن الولي الصالح هو من يقضي حوائج الناس، بل لقد انعقد إجماعهم وإجماع المسلمين جميعا على أن الفاعل الحقيقي والمؤثر الحقيقي في الأشياء كلها هو الله تعالى وهو الذي يقضي الحوائج. كما أنّ الصوفية لا يوجهون الناس إلى دعوة الأولياء والصالحين بشكل مباشر. المسألة هي أن الصوفية يتوسلون بالأولياء والصالحين ويتبركون بمقاماتهم وآثارهم، يعني أن يقول الإنسان مثلا: اللهم

إنني أسألك بجاه فلان من الصالحين، وهذه مسألة مشروعة بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة، والنقاش الفقهي يطول كثيرا في مثل هذه المسائل. لكني أشير إلى غياب التوجيه الديني والروحاني الذي نتج عن تغييب المرجعية الصوفية من الساحة الوطنية بعد الاستقلال، ما نتج عنه بالضرورة ظهور بعض الممارسات والممارسات الشعبية الغريبة عن التوجيه الصوفي الأصيل. أقول بعض الممارسات وليس كلها، لأن بعض الممارسات الصوفية الشعبية في الأضرحة والمزارات مشروعة أيضا. وقد فرض الله تعالى في القرآن الحكيم تقديس مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام، بل وأمر باتخاذ مصلى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) مع العلم أن مقام إبراهيم الذي يصلي عنده المسلمون بمقتضى النص القرآني، ليس سوى آثار قدمي سيدنا إبراهيم على الحجر الذي كان يقف عليه ليُمد ابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام بالأحجار عندما كانا بينان الكعبة المشرفة، ليس أكثر. من هنا فإن

النقاش في مسألة ما هو "وثني" وما هو "غير وثني" من الطقوس والشعائر الإسلامية في التصوف أو خارج التصوف، هو نقاش نسبي جدا.

اختار التيار السلفي في مصر دخول اللعبة السياسية من خلال مشاركته في الانتخابات التشريعية التي احتل فيها المركز الثاني بعد حزب الإخوان، هل ترى بأن هذا التيار تطور بحيث أصبح يؤمن بالتعددية وبالطرق السلمية للوصول إلى الحكم ؟ وهل تعتقد بأنهم يمتلكون مشروع مجتمع شامل (سياسي، اقتصادي، اجتماعي، ثقافي) غير أقوال السلف وادعاء امتلاك الحلول السحرية لكل المشاكل كما يتهمهم البعض ؟

لا أتصور أن السلفيين في مصر أو خارج مصر، يملكون مشروع مجتمع، لأن فكرهم أصلا عدمي، مبني على إقصاء الآخر وكل من لا يفكر مثلهم. كما إن تعامل "العقل" السلفي مع النص الديني (القرآن

والسنة) هو تعامل عقيم وغير منتج، ليس منذ اليوم، بل منذ القرن الأول الهجري، فهم لا يعرفون سوى لغة التحريم والإقصاء والتكفير. لذلك أقول إن وجودهم اليوم في الواجهة السياسية المصرية وغير المصرية، ليس سوى ديكور يراد من ورائه تحقيق أجندات غربية معينة. من جانب آخر نلاحظ أنه حتى بقية الإسلاميين من غير السلفيين (الإخوان المسلمون على سبيل المثال) لا يملكون مشروع مجتمع، بل إنهم إلى اليوم لم يتمكنوا من الإجابة بشكل واضح عن مسائل شديدة الحساسية في حياة الإنسان المعاصر، ومن بينها: طبيعة الدولة (دينية أم مدنية)، الموقف من الديمقراطية، المرأة، الحريات الفردية والجماعية، حقوق الأقليات الدينية والعرقية والمذهبية، الإبداع والفن، وغيرها من المسائل.

انتشرت في السنوات الأخيرة فتاوى غريبة أثارت كثيرا من ردود الأفعال مثل: فتوى إرضاع الكبير، فتوى التبرك ببول الرسول صلى الله عليه

وسلم، جلد الصحفي الذي يكتب عن صحة الرئيس...
الخ، كيف تنظر إلى هذه الفتاوى، وهل تجيب على
الأسئلة الكبرى التي تواجه واقعنا؟

هذا السؤال مرتبط بالذي قبله. والمسألة كلها
تتلخص في أزمة العقل المسلم الذي أصبح غير منتج
على المستوى الفقهي منذ تقرر إغلاق باب الاجتهاد
في القرن الرابع الهجري. لذلك شخصيا لا أستغرب
صدور هكذا فتاوى وأعتبرها ببساطة خارج التاريخ بل
حتى خارج الجغرافية، لأنه لا يمكن أن يكون لها مكان
سوى ضمن جغرافية التخلف التي ما زال المسلمون
يعيشون داخلها مع الأسف الشديد.

خلال الأزمتين الليبية والسورية تدخل الفقيه في
السياسة، هل من السهل على رجل الدين فهم عالم
السياسة المعقد والتدخل إلى جانب طرف ما على
حساب طرف آخر؟

طرح علي هذا السؤال من قبل في ما يخص حالة الشيخ القرضاوي، فكان جوابي كما يلي :

الشيخ القرضاوي أصلا لا يعتبر شخصية بريئة من الناحية الدينية بالمعنى العلمي الأكاديمي الدقيق، لأنه ينتمي سياسيا إلى جماعة الإخوان المسلمين أو بتعبير أدق "التنظيم الدولي للإخوان المسلمين". وهو بهذا الاعتبار غير بريء لجهة الآراء والفتاوى الدينية التي يصدرها، وبخاصة إذا ارتبطت تلك الفتاوى بالشأن السياسي.

من جانب آخر، نلاحظ أن القرضاوي تحول في السنوات الأخيرة إلى ما يشبه مقلب قط لدى بعض المواقع الإعلامية وبخاصة قناة "الجزيرة" التي تحولت مع "الربيع العربي" إلى آلة حرب أكثر منها وسيلة إعلام، على أساس الإغراض الواضح في بعض تغطياتها إن لم نقل الكثير منها أو أغلبها. ومعلوم أن "الجزيرة" وظفت القرضاوي، وربما هو استغلها أيضا

كمنبر إعلامي أو سلاح إعلامي، وذلك من خلال برنامج "الشريعة والحياة". والجميع يذكر كيف أن القرضاوي خلال تسعينيات القرن الماضي أفتى على المباشر في "الجزيرة" بشرعية العمل الإرهابي في الجزائر على أساس أنه "جهاد في سبيل الله". حتى أنه منع من دخول الجزائر حتى سنة 2000.

أتصور أنه لا ينبغي لرجال الدين أن يحشروا أنفسهم في الشأن السياسي، لأنهم يوجهون الناس جميعا ومن مختلف الحساسيات الأيديولوجية والسياسية والانتماءات الحزبية. فإذا تدخل رجل الدين في الشأن السياسي فقد تحزب. وإذا تحزب تخلص عن وظيفته أو أصبح يمارسها بغير نزاهة في أحسن الأحوال. وفي هذه الحال لا يمكن أن يكون شخص مثل القرضاوي بريئا ولا بعيدا عن تأثير بعض المواقع واللوبيات هنا وهناك. ومن خلال تدخله في الأزمات التي عاشتها وتعيشها بعض البلدان العربية، أثبت القرضاوي أن خطابه الإفتائي يكيل بمكيالين بل ويخدم أجندات

خارجية بشكل جد واضح إلا لمن لا يريد أن يرى.
وهذا الأسلوب ليس من شأنه أن يساعد على حل
الآزمات العربية، بل سيؤدي إلى المزيد من التعقيد
على مختلف الساحات العربية.

نشر بجريدة النصر: 27 مارس 2012.

الباحث في تاريخ يهود الجزائر والغناء

الأندلسي فوزي سعد الله:

"دولة إسرائيل وقفت بكل ما تملكه من ثقل ضد

استقلال الجزائر"

"الموساد ارتكب الكثير من الجرائم في حق

الجزائريين وعلى أرض الجزائر خلال الثورة

التحريرية"

يرجع الباحث فوزي سعد الله الوجود اليهودي بالجزائر إلى مرحلة ما قبل الميلاد، ويصف علاقتهم بالجزائريين بالحسنة عموماً إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أدى هذا الاحتلال إلى القضاء على التعايش بين يهود ومسلمي الجزائر. ويؤكد فوزي سعد الله - في هذا الحوار - بأن مرسوم كريميو الذي صدر سنة 1870، لم يطبق على جميع يهود الجزائر، كيهود الصحراء، ولا كانوا جميعهم راضين

عنه وقابلين بالجنسية الفرنسية. ويدعو الباحث إلى تعلم مختلف اللغات بما فيها اللغة العبرية.

للباحث مجموعة من الكتب: "يهود الجزائر.. هؤلاء المجهولون"، "يهود الجزائر.. موعد الرحيل"، "يهود الجزائر.. مجالس الغناء والطرب"، "صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى":

كلمة يهودي، ماذا تعني هذه الكلمة في اللا شعور الجمعي الجزائري؟

اللا شعور الجمعي الجزائري ليس متجانسا بل هو متعدد ومتنوع بقدر تنوع الحساسيات حسب القناعات السياسية والمذهبية الروحية. فهناك من تعني له كلمة يهودي إنسانا يعتنق الديانة الموسوية اغتصب جزء من بني جلدته أرضا عربية إسلامية ويبيدون أهلها منذ أكثر من 60 عاما وخانوا بالتالي تعايشا دام أكثر من 1000 عام. فيما يوجد من تعني له هذه الكلمة

حوصلَةً لكل الشرور البشرية على وجه الأرض على مدى آلاف السنين، وهذه الفئة هامة من حيث عددها. غير أن هذا الاعتقاد إذا ما تمعّنّا فيه، عادة لا يتجاوز حدّ الاعتقاد النظري المتوارث كفكرة دون أن يصل إلى حد أن يُترجم في الواقع كسلوك، لأن في المعاملات، الجزائريون، في الجزائر كما في خارجها، يتعاملون مع اليهودي كإنسان قبل كل شيء، ولو بشيء من الحذر المتبادل في البداية حتى تثبت "البراءة"، وذلك بسبب الريبة المتبادلة التي أحدثتها الصهيونية في العلاقات اليهودية الإسلامية. لكن موقف الجزائريين من الصهاينة ومن إسرائيل والإسرائيليين واضح ولا غبار عليه: الكُره والعداء، لأن الذي يفعل ما يفعله هذا الكيان في حق الفلسطينيين لا يمكنه أن يستقطب الحي والتعاطف...

تاريخيا، كيف بدأت علاقة اليهود بالجزائر ؟

علاقة اليهود بالجزائر، وأقصد اليهود القدماء في البلاد وليس الذين أتى بهم الاستعمار من أوروبا، علاقة ابن البلد ببلده قبل كل شيء وتعود إلى قرون طويلة. الأفواج الأولى التي حطت الرحال في البلاد تعود إلى ما قبل الميلاد على الأقل وقد ثبت وجودهم في الجزائر نسبيا منذ أن نفاهم الإمبراطور الروماني تيتوس (طيطيش) عام 70م في سفن إلى شمال إفريقيا بعد تحطيمه الهيكل في القدس/أورشليم، غير أن آثار عبورهم الجزائر؛ فيردها بعض المؤرخين إلى العهد الفينيقي حيث سُجِّل حضورهم في عدد من المراكز التجارية الساحلية كتجار ووكلاء تجاريين.

في عصور لاحقة، توافدت عدة أفواج من اليهود مع الفاتحين المسلمين ثم في شكل لجوء هروبا من أوضاع قسرية، كما حدث لليهود الأندلس، وانصهروا

في النسيج الاجتماعي الثقافي المحلي ليتحولوا إلى جزائريين بالكامل كغيرهم من سكان هذه البلاد مع اختلافهم عن غيرهم من السكان بممارسة معتقداتهم الروحية الخاصة بهم مثلما كان المسلمون يمارسون ديانتهم ومثلما أدى المسيحيون شعائرهم بكل حرية. وقد استمر هذا الوضع إلى غاية سقوط نظام الحكم العثماني - الجزائري في يوم 5 يوليو/تموز 1830م...

بعد هذا التاريخ، تلقى الانسجام اليهودي مع البيئة الجزائرية ضربة قوية بوجود طرف ثالث بين يهود الجزائر وبقية المجتمع، مثلما كان يحدث عبر التاريخ كلما دخلت أوروبا بقوة في حوض المتوسط وتمدت نفوذها إلى ضفافه الجنوبية.

تركز يهود الجزائر في أماكن معينة: قسنطينة، غرداية، مدينة الجزائر، تلمسان..، كباحث في هذا الموضوع، ماهي العوامل التي أدت إلى تركيزهم في هذه المدن أكثر من غيرها ؟

يهود الجزائر استقروا في غالبية الحواضر الكبرى والمتوسطة الجزائرية، في الشمال وفي الجنوب، بما في ذلك أقاصي الصحراء كواحة ثوات وغرداية وبشار، وذلك بسبب تحوّل اجتماعي جوهري طرأ على الطائفة قبل حوالي 8 قرون جعلها في غالبيتها العظمى طائفة حضرية. وقد تعمّقت هذه النزعة السوسيولوجية - التاريخية بتوافد يهود الأندلس على البلاد بعد طردهم عام 1391م من جزر البليار ثم عام 1492م بسقوط غرناطة على يد الملكة إيزابيلا الكاثوليكية وزوجها فرناندو.

لذا، نسبة هامة من يهود قسنطينة ومدينة الجزائر وتلمسان وما أحاط بها من أحواز كانت تنحدر من أصول أندلسية على غرار آل بن دوران الذين حلوا في القرن 14م بمدينة الجزائر لاجئين من ظلم المسيحيين الكاثوليك بعد سقوط جزر البليار بأيديهم، والطبيب يهوذا الأشقر الذي انتشرت أسرته بين تلمسان والعاصمة الجزائرية، والحبر إفرام النقاوة،

ويوسف كَارُو، الشخصية الروحية الأساسية في
المعتقدات السّفارديّة، فضلا عن عائلات بوشناق
والبكري وبوشعرة المَرّانية، اليهودية التي أُجبرت على
اعتناق المسيحية في إسبانيا بعد سقوط حُكم المسلمين
فيها، قبل أن تعود ذرّية هذه العائلات إلى ديانتها
بمجرد أن حطّت الرحال في مدينة ليفورن الإيطالية
قبل استقرارها النهائي في مدينة الجزائر...

في غرداية، كانت نسبة هامة من اليهود من أصل
تونسي قدموا من جزيرة جربة للاشتغال بصناعة
المجوهرات والصياغة بطلب من أعيان هذه الواحة
العتيقة الواقعة على أبواب الصحراء الجزائرية. وكان
يهود الجزائر ميّالين إلى ممارسة التجارة والحرف،
وهي النشاطات التي لا يمكنها أن تزدهر إلا في المدن
والحواضر، مما زاد في وتيرة تمدنهم منذ تقريبا القرن
14م و15م.

هل جميع ما قام به يهود الجزائر عبر التاريخ كان سلبيا ؟

هذا اعتقاد تقليدي، نشأ برأبي خلال أزمت بين المسلمين واليهود ثم تحوّل بالقليل والقال والدعاية السياسية المتبادلة والشعور بمرارة الخيبة والطعن في الظهر في حالات معينة إلى شبه قاعدة راجت شعبيا وتم توارثها عبر الأجيال رغم زوال مبرراتها. وكانت هذه الأفكار التي لم تكن دائما مبررة تطفو على السطح مجددا كلما حدثت خصومات بين يهود ومسلمين. فهل تتصور أن قبيلة المَجَاهِرِيَّة التي اعتنقت الإسلام قبل أكثر من 200 عام ما زال أبنائها يُعَيَّرُون اليوم بالنسب اليهودي عند الخصومات...؟ هذا طبعا غير معقول وغير مقبول. الحكم والأمثال الشعبية لدى المسلمين واليهود تشهد على ذلك حيث تستهزأ كل طائفة بالأخرى على غرار قول اليهود: "التلمساني والفَارْ مَا تَوَرَّيْلُهُمْشْ بَابِ الدَّارْ"، وقول المسلمين "كُلْ مَعَ الْيَهُودِي وَمَا تَرْقُدْشْ مَعَهُ". لكنهم قالوا أيضا

"سُوقُ بَلَا يَهُودُ كَالْقَاضِي بَلَا شُهُودُ"، وخففوا عنهم ثِقَلَ اللوم عندما قالوا: "100 يهودي ولا 1 بُليدي (أي من مدينة البليدة)".... لكل ذلك، لا يُعقل أن يكون كل ما قاموا به عبر التاريخ، سواء أكان ذلك في الجزائر أو في غيرها من البلدان، سلبيا، لأنهم قبل كل شيء بشر، وسوء معاملة الناس والتصرفات السلبية لا تنتقل وراثيا.

لكن التاريخ يذكر لهم أو لبعضهم العديد من الأخطاء الفادحة في حق بلدهم، في الحالة الجزائرية، كثيرا ما ارتكبتها جماعات مصالح أو أشخاص من الأعيان اليهود وتُحاسب عليها عادةً كل الطائفة كما كانت تقتضي تقاليد وذهنيات القرون السابقة تقريبا في كل أنحاء العالم.

في مقالك المنشور بجريدة العالم المعاصر (العدد: 05، الصادر بتاريخ 23 أكتوبر 1993، ص: 10) والذي حمل عنوان: "المغازلة اليهودية للبربر

"؟"، كتبت مايلي: "فرغم مساعدة البربر لهم وشفقتهم عليهم من القمع الروماني الشديد..إلا أنهم لم يكونوا في مستوى طبيبتهم وكرمهم، إذ لم يترددوا في حبك المؤامرات ضدهم والتبليغ عن أسرار المقاومة البربرية للرومان المستعمرين مقابل امتيازات مادية ظرفية.."، هل من توضيح أكثر لعلاقة اليهود بالبربر؟

الأعيان وكبار التجار اليهود لم يكونوا يعبأوا كثيرا بالاعتبارات الأخلاقية في تعاملهم مع البربر، كانت تهمهم أعمالهم وتجارتهم، خصوصا تجارة الرقيق، والتحالفات التي تكفل مصالحهم وحتى تجنيد أبناء الطائفة لخدمتها. ولم يكن مهما لهم تضرر البربر من عدمه بسبب مشاريعهم. وهي على كل سلوكات بشرية لا تقتصر على اليهود. فاليوم لدينا في الجزائر، مثلا، من يبيعوننا المخدرات والمنتجات المستوردة الفاسدة ومنتهية الصلاحية دون اكتراث بأضرارها على الناس...

العامة من اليهود، الطبقات الفقيرة والمتوسطة، كانت أقرب إلى الانسجام والتعايش مع البربر خصوصا في الفترات التي تجري فيها الرياح بما لا تشتهي سفن الطائفة وتصبح خلالها هذه الأخيرة بحاجة إلى السند البربري، مثل "التقارب" الكبير الذي حدث، في القرن 20م، في عهد حكومة فيشي والنازية نهاية ثلاثينيات القرن الماضي، عندما كان اليهود يحتمون ويحمون مصالحهم بعلاقاتهم مع المسلمين رغم حداثة صدمات أحداث قسنطينة الدامية بين الطائفتين عام 1934م وقتلاها وصدماتها. كما تمتع اليهود بالتضامن ذاته خلال المظاهرات العديدة المناهضة لهم التي قام بها أوروبيو الجزائر منذ سبعينيات القرن 19 إلى غاية عشرينيات القرن 20م. أَلَمْ يُخَفِ الشقيقان الفنانان محمد والغوثي الذيب في بيتهما الفنان اليهودي مقشيش وغيره أثناء اعتداءات المستوطنين الأوروبيين على اليهود في تلمسان نهاية القرن 19م...

أما ما يتردد منذ عقود عن الامتزاج العميق
المزعوم بين الطائفة اليهودية والبربر قبل الإسلام ففيه
مبالغات وتضخيم مقصود تسهر عليه الدعاية
الصهيونية التي وجدت من يردد صداها، عن قصد أو
عن حسن نية، في أوساط سياسية تُحسب على البربر
أو الحركة السياسية البربرية على الأقل. وتتخذ هذه
الدعاية من علاقة الكاهنة بالمسلمين الفاتحين أساس
نظرية الأخوة البربرية - اليهودية المزعومة و"التاريخ
المشترك" الذي صنعه مخابر الدراسات
الجيوستراتيجية الصهيونية والمتصهينة وأبواقها والذي
يجري العمل على تحويله إلى قاعدة للانطلاق نحو
"المستقبل المشترك" اليهودي - البربري أو بالأحرى
الصهيوني - البربري... هل سينجح هذا المشروع؟ هذا
يتوقف على الجزائريين ذاتهم قبل كل شيء.

سبق أن قلتُ في كتابي "يهود الجزائر، هؤلاء
المجهولون" قبل 17 عاما إن الصهيونية تحضر لكم
طبخة مسمومة وتبحث بمثل هذه الأكاذيب عن إيجاد

نقاط ارتكاز سياسي لها في الجزائر ومنطقة المغرب العربي. اليوم، هذه النشاطات النظرية بدأت تُنصَحُ ثمارها على أرض الواقع، والمشروع الصهيوني في المنطقة في تقدُّم. اليوم، توجد اتجاهات سياسية تصف نفسها بالبربرية تروج للأطروحات الصهيونية وتدعو إلى قبول إسرائيل وتتعامل معها خصوصا في المغرب. ولا أدري إن كان الجزائريون يعلمون أن مجموعة من "البربريين" احتفلوا قبل أيام رسميا بالذكرى الـ: 65 لـ: "استقلال دولة إسرائيل" (رغم أنني لا أعرف مَنْ الذي كان يحتل هذه الدولة التي لم تكن موجودة أصلا في فلسطين قبل 65 عاما) إلى جانب الصهاينة الكنديين تحت مظلة "فيدرالية الطوائف اليهودية في كيبك" التي نظمت الاحتفالات في كندا. وقد لا أضيف لكم أي جديد عندما أقول لكم أن أحد الجزائريين الذين يعتبرون أنفسهم من رموز التيار السياسي البربري قد زار إسرائيل لمدة أربعة أيام مؤخرا واجتمع بعدد من مسؤوليها باسم البربر

الجزائريين.. وللأسف لم يبلغني أن بقية رموز التيار
أخذت مواقف علنية واضحة بهذا الشأن، مما قد يضيف
غموضا وضبابية تسيء للكثير من الجزائريين.

الآفاق إذن قاتمة، خصوصا إذا علمنا أن
داخل مؤسسات الدولة الجزائرية ذاتها يوجد من يُهمل
لإسرائيل ويجتمع مع مسؤوليها، مختارين أو مُرغمين،
ثم يكذبون على الشعب ويقولون له عكس ما
يفعلون وينافقون... الروائي بوعلام صنصال كان مديرا
في وزارة التجهيز لا يجب أن نغفل ذلك...

أريد فقط أن يعلم الجزائريون أن دولة إسرائيل
هذه وقفت بكل ما تملكه من ثقل ضد استقلال الجزائر،
وذهب بن غوريون ذاته إلى باريس على جناح السرعة
عندما اقترب موعد الاستقلال لإقناع الجنرال ديغول
بالعدول عن التزاماته الناجمة عن التفاوض مع الثوار
الجزائريين... لكنه فشل في تحقيق غرضه، لأن ديغول
أفهمه أن مصلحة فرنسا فوق كل اعتبار وتقتضي

الانسحاب من الجزائر وترك شعبها يقرر مصيره... ويجب ألا ينسى الناس أيضا أن الموساد ارتكب الكثير من الجرائم في حق الجزائريين وعلى أرض الجزائر خلال الثورة التحريرية ولو أن الناس عندنا اليوم أصبحوا يجهلون، مثلاً، ما معنى عيد الفطر عام 1956م في قسنطينة.

نحن اليوم في الجزائر خليط من العرب والبربر والأوروبيين والأفارقة امتزجنا وانصهرنا مع بعض عبر القرون، ولا أفهم كيف يسمح البعض لأنفسهم، أقصد متطرفي التيار البربري، بالحديث عن شرائح واسعة من أهل البلاد، توصف بالعربية ولا أدري على أي أساس تُصنَّفُ كذلك، تعيش على هذه الأرض منذ أكثر من 1000 عام وكأنها دخيلة دون أدنى احترام لمشاعرها. في المقابل، يلوم هؤلاء المتطرفون فرنسا في عقر دارها على عدم اعتبارهم فرنسيين رغم أنهم يحملون جنسية مزدوجة جزائرية - فرنسية.

إن هذا المنطق يجر إلى عواقب كارثية في المدى الطويل، والرابع الأكبر منها هم الذين وقفوا بالأمس فقط ضد تحرر الجزائريين عربا وبربرا وأفارقة وأوروبيين...

**اليهود حضور في تونس والمغرب الأقصى
عكس الجزائر، هل لنتائج مرسوم كريميو (1870) -
لما فصل الاحتلال يهود الجزائر عن مسلميها - دور
في ذلك ؟**

اليهود مازالوا موجودين في الجزائر رغم تقلص كبير لعددهم لعدة أسباب وعلى رأسها موقفهم المساند للاحتلال الفرنسي أو المتخاذل بشكل عام تجاه المطالب التحررية للشعب الجزائري، باستثناء قلة قليلة من اليساريين المثقفين، نذكر على رأسهم الطبيب دانيال تيمسيت ابن القصبة السفلى الذي وُلد ونشأ بمحاذاة سوق ساحة لالير، وهنري علاق صاحب كتاب "السؤال" الذي فضح التعذيب الوحشي الذي

مورس ضد الجزائريين خلال "معركة الجزائر"
وآخرين ماتوا وهم يحملون السلاح من أجل تحرير
بلدهم الجزائر...

بعد الاستقلال، وجد الآلاف من الذين اختاروا
البقاء في وطنهم، والذين لم يمنعهم حصولهم على
الجنسية الفرنسية بمقتضى مرسوم كريميو لعام
1870م من البقاء جزائريين، أنفسهم يعيشون في
أجواء جديدة ذات ثقافة عربية بربرية إسلامية وليست
فرنسية أوروبية كما كانت طيلة 132 عاما، ولم يتمكن
بعضهم من التأقلم معها فرحلوا تدريجيا عن البلاد
ليستقروا عادة في فرنسا دون أن يتعرضوا لأيّ أذى
من أيّ أحد.

ثم جاءت أزمة التسعينيات التي طردت مئات
آلاف الجزائريين، مسلمين وغير مسلمين، تركوا البلاد
للنجاة بأنفسهم من جحيم العنف والتهديدات اليومية التي
تعرض لها الجميع، فلم يبقَ بالتالي من اليهود، حسب

بعض التقديرات غير الرسمية، سوى مئات. وقد كان نصيبهم من الأزمة مقتل بضعة أفراد من أبناء الطائفة على غرار جُوزي شَارْل بُلْعِيش رئيس الطائفة اليهودية في الجزائر الذي قُتل قرب مكتبه في ساحة بور سعيد بالعاصمة الجزائر بمحاذاة مسرح محيي الدين باش طارزي، ورِيمُونْد لُزُوم بائع النّظّارات قُرْب ساحة مُوريس أُوْدَان، وأيضاً صاحب مكتبة "الفنون الجميلة" في قلب شارع ديدوش مراد... إضافة إلى محاولة ذبح يهودي مُسنّ صاحب ورشة زجاج في حيّ بولوغين في مدينة الجزائر، نجا من المحاولة بأعجوبة، على يد مجموعة من السُّراق حسب ما تردد في حيّه حينذاك في منتصف التسعينيات.

إذن مرسوم كريميو لا يفسر كلّ شيء وإن ساهم في فرنسة شرائح يهودية إلى حدٍّ ما عكس ما يتردد في أوساط مؤرخين وكُتّاب يهود يحاولون تبرير مواقف الطائفة من المطالب التحررية الجزائرية وخذلانهم المقاومة الجزائرية منذ القرن 19م بكونهم

"ضحايا" مزعومين لمرسوم كيرميو وإدارة الاحتلال الفرنسي. يجب أن نعرف أيضا أن ليس كل اليهود طُبّق عليهم هذا المرسوم، كيهود الصحراء، ولا كانوا جميعهم راضين عنه وقابلين للجنسية الفرنسية...يهود غرداية، مثلاً، لا علاقة لهم بهذا المرسوم، ومع ذلك انتهى المطاف بغالبيتهم في صحراء النّقب في إسرائيل.

تعتبر اللغة العربية لغة أساسية في الجامعات الإسرائيلية وتوجد أقسام في هذه الجامعات خاصة بالدراسات الإسلامية وكل ما أَلّف بلغة الضاد، وفي الجزائر ثار البعض - في مطلع العشرية الحالية - ضد إعادة تدريس اللغة العبرية بالجامعة الإسلامية بقسنطينة، كيف يمكن فهم اليهود بشكل جيد، خاصة أن الدراسات الإستراتيجية ترى بأن معرفة كيفية تفكير الآخر، تمثل ثلاثة أرباع القوة ؟

الجدل حول تعليم اللغة العبرية في الجزائر جدلٌ غير مبرر، والرافضون لهذه اللغة في بلادهم مخطئون. تعلُّم اللغات عِلْم من العلوم يساهم في خدمة البلاد والمجتمع مهما كانت العداوات مع أصحاب هذه اللغات. في الأندلس، لم تتوقف الحروب بين المسلمين والإسبان الكاثوليك القادمين من الشمال خلال ما يُعرف بـ: "حروب الاسترداد"، لكن البعثات المسيحية لم تتوقف، هي الأخرى، عن التدفق على المعاهد والجامعات الأندلسية طلباً للعلوم والمعارف وباللغة العربية، ولم يحرمهم المسلمون منها. وكان من بين هؤلاء الطلبة أمراء ونبلاء عادوا إلى بلدانهم وهم يتباهون بالحديث باللغة العربية حتى في بلاطاتهم. وكان ذلك عنصر قوة لهم وليس العكس. الظاهرة نفسها شهدتها الحروب الصليبية في المشرق، المبادلات ومحاولات فهم الآخر لم تتوقف رغم قعقة السيوف التي دامت عقوداً من الزمن. اليوم، في إسرائيل، هناك من يؤلف باللغة العربية كعدد مكن

الأدباء اليهود من أصل عراقي، من بينهم سامي معلّم الذي غيّر اسمه إلى شموئيل موريه منذ هجرته إلى إسرائيل في ستينيات القرن الماضي... إذن نحن بحاجة إلى تحكيم العقل بعيدا عن ردود الأفعال العاطفية التي كثير ما كلفتنا غالبا ولم نتعظ.

في 03 أوت 1934، قام اليهودي القسنطيني الياهو خليفي بالتبول على جامع "سيدي لخضر" بقسنطينة كما شتم المسلمين، وهو في حالة سكر، مما أدى إلى ردود أفعال غاضبة، هل وقعت حالات صدام مشابهة لهذا الحادث في تاريخ العلاقات بين مسلمي ويهود الجزائر؟

نعم وقعت حالات أخرى أكثر خطورة، وما زال يجهلها الجزائريون، باستثناء الذين عاصروا مثل هذه الأحداث، ليس بسبب اليهود أو الصهيونية بل لعدم جدیتنا في التعاطي مع ماضينا وعدم احترامنا لذاكرتنا وتراثنا بشكل عام...

في صباح عيد الفطر لعام 1956م في الموافق ليومي 12 و 13 مايو، قتل يهود في مدينة قسنطينة مؤطّرين بعشرات عملاء الموساد الإسرائيلي الذين قدّم عدد منهم في مهمة تخريبية من إسرائيل، مئات المسلمين الجزائريين امتلأ مستشفى المدينة بجثثهم. هذا العدد الذي قرّمته إدارة الاحتلال حينذاك، ويقول المؤرخ الإسرائيلي ميخائيل لاسكّي إنه لا يتجاوز 26 شخصا، قدّره المؤرخ الفرنسي والأستاذ المحاضر سابقا في جامعة قسنطينة جيلبير ميني (Gilbert Meynier) في أحد بحوثه قبل بضعة أعوام بـ: 230 قتيلا مُسلّمًا، ووصف هذه الجرائم بالمذبحة اليهودية في حق المسلمين حيث استخدم لوصف فظاعتها عبارة "بوغروم" (Pogrom)، وهي العبارة التي توصف بها عادة المذابح التي ارتُكبت في حق اليهود في أوروبا. هذا المصطلح جلب للمؤرخ انتقادات شديدة وضغوطات، تلاها تراجعُه عن استخدامها مكتفيا بالحديث عن عمليات قتل...

كما قتل يهود صهاينة وموالون لأوروبيي
الجزائر المناهضين لاستقلال البلاد العديد من
الجزائريين المسلمين في إطار نشاطاتهم شبه العسكرية
داخل خلايا المنظمة المسلحة السرية (OAS) عشية
الاستقلال، خصوصا في مدينة وهران وضواحيها ،
بعد دعوة الجنرال إيدمون جو هو، أحد الانقلابيين ضد
الجنرال ديغول من أجل إبقاء الجزائر فرنسية، اليهود
للاتحاق بهذه المنظمة السرية الإجرامية، وكان
اليهوديان إيلي عطار وأزولاي من بين أبرز عناصرها
حينذاك. كما وقعت مجابهاة أخرى أقل خسائر في
مدينة الجزائر خلال الثورة التحريرية.

حدث تقارب في بداية حكم الرئيس الحالي
بوتفليقة بين السلطة الجزائرية ويهود الجزائر الذين
يقيمون بفرنسا؛ حيث اعترف الرئيس الجزائري بدور
يهود قسنطينة في ازدهار الثقافة الجزائرية كما دعا
المطرب اليهودي القسنطيني أنريكو ماسياس إلى

زيارة الجزائر ثم ساءت العلاقة بين الطرفين، ماهي الأسباب التي أدت إلى توقف هذا التقارب ؟

رئيس الجمهورية الجزائرية كان يامل مجانا ليحصل على دعم اللوبيات اليهودية والصهيونية للاستقواء بالخارج على الداخل. ولا أعتقد أنه حصل على أشياء كبيرة بقدر ما أنقذته الطفرة النفطية في معاركه السياسية الداخلية...أما قضية أنريكو ماسياس، برأيي، كانت مناورة أراد الرئيس توظيفها لصالحه في إطار الإستراتيجية ذاتها، وحاولت الصهيونية من جهتها عن طريق عونها الوفي غاستون غريناسية المعروف بـ: مَاسِيَّاس أن تستغلها أكثر مما يسمح به بوتفايقة والظروف الجزائرية. فتصادمت المصالح والغايات وتوقف كل شيء...ماسياس كان نَهْمًا وأراد أخذ أكثر مما عرض عليه الرئيس فكسر الجُرة، ولو غامر الرئيس وتنازل له أكثر مما وعده به لخسر الكثير على الجبهة الداخلية وهو مالا يزال في بداية الطريق...

يَدّعي اليهود بفضلهم الكبير في تطوير
الموسيقى الأندلسية، من خلال كتابك الموسوم "يهود
الجزائر.. مجالس الغناء والطرب"، ماهو تقييمك
لدور هؤلاء في تطوير هذه الموسيقى؟

اليهود عشقوا الغناء العربي الأندلسي كالمسلمين،
وذلك بحكم هويتهم الثقافية العربية - الإسلامية التي
صهرتها قرون التعايش بين الديانتين في المجال
الحضاري المغاربي - الأندلسي، ولم يكونوا يختلفون
عن المسلمين ثقافيا سوى في ممارسة الشعائر والعقيدة
الدينية الخاصة بهم. وقد نبغ العديد منهم في هذا الغناء .
على غرار ابن فراشوا وابراهيم الدّرعى وابن كيمون

هذا الفن الموسيقي كان فنّهم أيضا، لأنهم كانوا
جزءا لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي آنذاك، لكنه قبل
كل شيء فن صنعته الحضارة العربية - الإسلامية
وأفرزه التعايش والتبادل مع الثقافات المجاورة
الإفريقية والأوروبية والفارسية - الآسيوية. ولم يكن

أبدا فنا يهودي الهوية مثلما هو شأن بعض فنون المدح والابتهالات الروحية الموسوية التي كانت تُمارس في المعابد. ما يُغنى حاليا في الفن الموسيقي العربي الأندلسي وما تم التغني به خلال القرون الماضية أشعار وألحان لا علاقة لها باليهودية كديانة. وإذا كان الفنان اليهودي الأندلسي الكبير ابن باجة، الذي قيل إنه اعتنق الإسلام، قد أبدع في نظم الألحان في الأندلس وفي المغرب بعد رحيله عن مسقط رأسه، فإنه لحن وفق الأذواق الشائعة آنذاك في البيئة الأندلسية العربية الإسلامية مع الاستلham من الموسيقى الإفريقية الرومانية السائدة في إسبانيا، ولم تكن ألحانه تحمل صبغة يهودية، لأن الأذواق الموسيقية اليهودية كانت عربية - إسلامية.

الإنتاج الغنائي العربي - الأندلسي عربي اللسان وعربي مغربي أندلسي الهوية الموسيقية والمخيال، ولا نعرف اليوم ولا عرفنا في السابق أغانٍ تُنسب إلى اليهود وتنتمي إلى هذا التراث، كما لم يتجرأ أحد على

ادعاء ذلك حتى في إسرائيل، لأن ذلك بكل بساطة غير صحيح. كما لم ينسب أحد من خبراء الموسيقى الذين درّسوا هذا التراث الموسيقي، خصوصا أثناء القرنين الأخيرين، للفنانين اليهود ما تحاول الإيحاء به الصهيونية اليوم. وهؤلاء الفنانون الموسويون في غالبيتهم أبرياء من هذه الأكاذيب، بل ذهب بعضهم إلى حدّ تفنيد هذه الادعاءات مثلما فعل ليلى بونيش اليهودي جزائري الأصل الذي توفي بداية العام 2008م في فرنسا.

يقول الكاتب الفرنسي مونتيسكيو: "اليهود يبادون دوما ويبعثون دوما، لكنهم استطاعوا أن يعوّضوا خسائرهم ودمارهم الأبدي.."، هناك من يرى بأن اليهود أفضل من يستخدم التاريخ ومن أهم المهتمين بالدراسات المستقبلية، هل تؤيد هذا الرأي؟ لا أعتقد أن اليهود أكثر ذكاء أو أكثر غباء من بقية البشر. لقد عاشوا تاريخا فيه انتكاسات وفيه

انتصارات، عاشوا عهودا لامعة وأخرى مظلمة
كغيرهم من بني آدم..أما الباقي فمجرد سياسة
ومضاربات صادرة عنهم أو عن خصومهم. والاهتمام
بالدراسات المستقبلية ليس حكرا على اليهود، ولا شك
أنك تقصد الإسرائيليين، فلديهم خبراء مثلما لدى كل
الأمم خبراء وتبقى درجة الكفاءة لدى الجميع في تقدم
وتراجع خاضعة للظروف العامة للبلاد.

**بعض القنوات الفضائية الخليجية تفتح المجال
لشخصيات يهودية للدفاع عن أفكارها، كيف تنظر إلى
هذا الأمر ؟**

هي حرة في توظيف قنواتها التلفزيونية كما تشاء
وتقتضيه مصالحها بغض النظر عن إضرارها
بمصلحنا أو إفادتها لنا. هذه الدول تقول لنا بالأفعال لا
مجال للتضامن العربي أو الإسلامي أمام مصالحها ولو
أدى ذلك إلى التحالف مع الشيطان، إذن فعلينا أن
نوظف إمكانياتنا الإعلامية وفق مصالحنا. لكن دون

مخالطة الشيطان مثلها. فهل فعلنا ذلك كما يجب إلى حد الآن بدلا من تضييع الوقت في لوم الآخرين ؟

كيف استطاع اليهود - رغم كونهم أقلية في العالم - من التحكم في: الإقتصاد، السينما، السياسة الدولية..؟

هذا التحكم مبالغ فيه كثيرا وليس مطلقا. والقول بذلك يخدم الصهيونية ويحبط العزائم في العالم العربي والإسلامي، لأنه يصوّر الأشياء وكأن كل شيء انتهى؛ أي لقد انهزمت أمام إسرائيل والصهيونية ولا جدوى من المقاومة مهما كانت أشكالها. من جهة أخرى، يجب التمييز بين الصهيونية واليهود، وإن كان الكثير من اليهود صهاينة، فهناك يهود فقراء ولا حول لهم ولا قوة حتى داخل إسرائيل. والذين تُنسب لهم السيطرة على دوائر المال ومؤسسات دولية قوية النفوذ هم لوبيات مالية - سياسية تتجاوز في الكثير من الأحيان الصهيونية وإسرائيل، فضلا عن أن نفوذها ليس مطلقا

كما يعتقد البعض وخاضعا للكثير من التجاذبات
وصراعات النفوذ...ويُذْكرني ذلك بالإسقاط الذي تسبب
فيه الثنائي اليهودي الثري بكري وبوشناق خلال القرن
19م على كل يهود الجزائر الذين كان بعضهم يعيش
أوضاعا لا يُحسدون عليها.

لو ترشّح يهودي جزائري غير صهيوني
للانتخابات في الجزائر وتوفر فيه شرط الكفاءة، هل
ستنتخبه ؟

نعم، سأنتخبه، إذا توفرت فيه الكفاءة والصدق
والنزاهة والروح الوطنية الحريصة على مصلحة
بلاده...ولا أنتخب الحثالة التي أصبحت تصدر بعض
قوائمنا الانتخابية وتثير الاشمئزاز والنُّكَت والسخرية
لدى غالبية المواطنين في الداخل والخجل من هذا
الوضع المزري في الخارج وهذا الانتخاب أمر طبيعي
جدا ولو أنه تحوّل إلى عجب في القرن 20م بسبب

الكوارث التي أحدثتها الصهيونية في العلاقات بين المسلمين واليهود.

بالعودة إلى الأندلس ومصر الفاطمية وغيرها من التجارب السياسية التاريخية الإسلامية، نجد أن العديد من الكفاءات اليهودية وُلِّتْ في بلاد الإسلام المسؤوليات الكبيرة بما فيها الوزارة (بمعنى رئاسة الحكومة آنذاك) فنجحت بعض هذه التجارب وفشلت أخرى في إنجاز مهامها كما يحدث في كل زمان ومكان. مثلما هو حال تجربة الوزير يعقوب بن كُلس في القاهرة الفاطمية الذي بكته مصر وأميرها الفاطمي عند وفاته وأيضا تجربة إسماعيل بن النغريلة في الأندلس التي انتهت إلى فوضى واضطرابات مؤلمة.

ثم إذا كنتَ تقبل باليهودي مجاهدا معك في الجبال وفي خلايا الاتصال والإسناد لتحرير البلاد لماذا لا تقبل به في مجالات أخرى؟ وأعتقد أن الدولة

الجزائرية قبل الانحلال الذي يعصف بها منذ عقدين كانت متفتحة ومنفتحة في هذا المجال أكثر من اليوم.

صدر لك بمناسبة "تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية" سنة 2011، كتاب بعنوان: "صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى"، فيم تتمثل هذه الصفحات المجهولة، حسب تعبيرك ؟

في كتابي الأخير، عرّفتُ بعدة نقاط غامضة أو مجهولة في مجال الغناء العربي الأندلسي في صيغته الجزائرية كالفنانين القدماء والمعاصرين الذين طمرهم النسيان بمجرد مرور عقد أو اثنين عن وفاتهم رغم ما قدموه لهذا الفن، وكذلك بالجاليات الأندلسية التي رعت هذا الفن وطوّرتَه إلى حوزي وعروبي وحوفي وغيرها وَبَنَتْ وصقلت بيئته الاجتماعية الثقافية، وهي جالية لا يدري الجزائريون بشكل عام أنها كانت محرّك نهضة البلاد الشاملة ابتداء من القرن 16م

بوصول أفواج الأندلسيين اللاجئين من غرناطة بعد سقوطها ثم بوصول الموريسكيين بداية القرن 17م. وقد كانوا عنصرا أساسيا في بناء قوة الجزائر خلال الفترة العثمانية. وأحفاد هؤلاء الأجداد ما زالوا يعيشون بيننا في الجزائر دون وعي منا ولا حتى منهم أحيانا وليس صدفة أن يكون التلمسانيان بن سهلة وابن مسايب الشاعران المغنيان والشيخ بريهمات الأب الروحي لـ: اللأ يامنة بنت الحاج المهدي في مدينة الجزائر وأيضا مصطفى بن القرضناش العنّابي الدبلوماسي التاجر والموسيقار، على سبيل المثال لا الحصر، من أصول أندلسية.

نشر بجريدة النصر: 29 ماي 2012.

الكاتب والباحث في الثقافة الأمازيغية د. محمد أرزقي فراد:

"الحركة الوطنية لم تدرج البعد الأمازيغي ضمن
منطلقاتها الفكرية كما فعلت الحركة الإصلاحية"
"بعد دسترة الأمازيغية، انتهى دور النضال
السياسي، والمجال اليوم مفتوح للباحث الأكاديمي"
يرجع الكاتب والباحث د. محمد أرزقي فراد،
بقاء تداول اللغة الأمازيغية إلى عراققتها وثنائها من
جهة، ومن جهة أخرى إلى دور التضاريس في
حمايتها من الانصهار في اللغة الغالبة. ويعتل - في
هذا الحوار - أسباب تبني الحركة الإصلاحية
للأمازيغية عكس الحركة الوطنية بزعامة مصالي
الحاج، ويلقي اللوم على المثقف المعرب الرافض
لأحد ثوابت الأمة ويشرح العوامل التي جعلت المثقف
المفرنس يقبل بلغة "ابن تومرت". كما يدافع عن
كتابة الأمازيغية بالحرف العربي.

أثرى الكاتب والنائب في المجلس الشعبي الوطني (سابقا) رفوف المكتبة الجزائرية بمجموعة من المؤلفات منها: "القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف"، "من شهداء الثورة، للأطفال"، "شرشال تاريخ وثقافة"، الأمثال الأمازيغية في منطقة شرشال"، "آيت منقلات حكيم الزمان"، "أزفون تاريخ وثقافة"، "إطلالة على منطقة القبائل"، "الأمازيغية... آراء وأمثال تيبازة نموذجاً"، "الحاج محمد السعيد تازروت إطلالة على الشعر الصوفي الأمازيغي":

البعض يجهل وجود تراث أمازيغي مكتوب بالحرف العربي منذ عهد المهدي بن تومرت (أحد مؤسسي الدولة الموحدية)، هل من تفاصيل أكثر حول هذا التراث ؟

إن سياسة التعنيم المفروضة على الثقافة الأمازيغية لسنوات طويلة، هي المسؤولة عن جهل

الجزائريين لتاريخهم الأمازيغي العريق. فقد أخبرنا التاريخ أن التراث الأمازيغي غني وثري، بشهادة ابن خلدون القائل: >> لو التفتت إليه رعاية الناقلين لمألت الدواوين.<<. هذا وقد شرع في تدوين الأمازيغية بالحرف العربي منذ عهد "ميس أتْمُورْت" (ابن تومرت ومعنى التسمية باللسان الأمازيغي ابن البلد)، الذي ترجم معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية، وألف بها كتابه المشهور "العقيدة" ثم ترجم إلى اللغة العربية. وأكد الكاتب العربي المصري يحي هويدي (في كتابه الموسوم "تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية"، ج1، الصادر سنة 1966، ص 228)، أن ابن تومرت كان يعلم التوحيد باللسان الأمازيغي.

واستمر أجدادنا الأمازيغ في كتابة لغتهم بالحروف العربية لقرون عديدة، فأنْتَجَوْا كَمًّا كبيراً من المخطوطات الفقهية لا يزال بعضها محفوظاً في المكتبات الخاصة إلى يومنا هذا. لكن إقصاء الثقافة الأمازيغية، من طرف الدولة الجزائرية بعد الاستقلال،

قد دفع المثقفين المعربين إلى العزوف عن تناولها، في حين استمر المثقفون الجزائريون المفرنسون في رعايتها انطلاقاً من أعمال الفرنسيين المنجزة أثناء الاحتلال الفرنسي، وأدى ذلك إلى هيمنة الحرف اللاتيني على الأمازيغية.

كباحث، في الثقافة الأمازيغية، كيف تفسر زوال تداول الفرعونية المنقوشة على الجدران واللاتينية المكتوبة على الورق وبقاء تداول الأمازيغية "الشفوية"؟

لا أملك الجواب الخاص بالشطر الأول من السؤال. أما الشطر الثاني الخاص بالأمازيغية، فأرى أن هناك عدة عوامل متضافرة، ساعدت على تخطي الأمازيغية للأزمان، يمكن إجمالها في العناصر التالية:

(1)- عراقة الأمازيغية وثرأء لسانها.

(2)- وعورة التضاريس الجغرافية التي ساعدت على حماية اللغة الأمازيغية من الانصهار في اللغة الغالبة، وحمتها من المؤثرات الخارجية.

تاريخيا، وقف التيار الوطني ضد الأمازيغية وأقصى العناصر المنادية بها، فيما يعرف بالأزمة البربرية التي حدثت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1949، ما هي الدروس المستخلصة، اليوم، من تلك الأزمة ؟

تجدر الإشارة في البداية إلى وجود تباين بين موقفي الحركة الإصلاحية، والحركة الوطنية، من القضية الأمازيغية.

فقد تبنت الأولى المكوّن الأمازيغي في الشخصية الجزائرية، بدليل أن مبارك الملي، قد تحدث بإسهاب في كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" الصادر سنة 1928م، عن الحضارة الأمازيغية. واتخذ أحمد توفيق المدني نفس الموقف في كتابه الموسوم "كتاب

الجزائر" الصادر سنة 1931م. كما أشار ابن باديس إلى أصله الأمازيغي حين أمضى إحدى مقالاته سنة 1936 باسم "عبد الحميد بن باديس الصنهاجي"، ولم تكن مقولة "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا" موجهة ضد الأمازيغية، بل كانت موجهة ضد الاستعمار الفرنسي. وتبنى بعض شعراء الإصلاح الانتماء الأمازيغي على غرار الشيخ سحنون، ومحمد الصالح رمضان، ليس من باب التباهي العرقي، بل من أجل إبراز عراقة الجزائر، وتوظيف ذلك كسلاح ثقافي حاد لمواجهة الاستعمار الفرنسي.

ومن دواعي الأسف أن الحركة الوطنية بقيادة مصالي الحاج لم تدرج البعد الأمازيغي ضمن منطلقاتها الفكرية كما فعلت الحركة الإصلاحية، وأدى ذلك إلى تصدعها سنة 1949م.

بعد استرجاع السيادة الوطنية، استمر تهميش الأمازيغية من قبل الدولة الوطنية، مما دفع بأنصارها إلى تأسيس أكاديمية خاصة بها بفرنسا، منتصف ستينيات القرن الماضي، بقيادة المجاهد بسعود أعراب، ما هو تقييمك لدور هذه الأكاديمية ؟

كان من الأنسب أن تتبنى الدولة الجزائرية بعد استرجاع السيادة الوطنية البعد الأمازيغي في الشخصية الجزائرية عملاً بموقف الحركة الإصلاحية السديد. لكن ذلك لم يحدث بسبب قيام نظام سياسي شمولي مستبد قفز على التنوع الثقافي الجزائري. وأدى ذلك إلى حدوث صراع ثقافي، وإلى انفجار أزمة هوية لا تزال تداعياتها تفعل فعلها في المجتمع الجزائري.

ونتيجة لتضييق الخناق على أنصار الأمازيغية من طرف النظام السياسي الجزائري، اضطر هؤلاء إلى الهجرة إلى فرنسا أين واصلوا النضال من أجل إفتكاك الاعتراف بحق الوجود للأمازيغية. وتزعم

بَسْعُودٌ مُحَنَدٌ أعراب، هذا التيار الذي أسس جمعية ثقافية متواضعة، أطلق عليها من باب الإشهار اسم "الأكاديمية البربرية" وهي لا تملك أدنى مقومات هذه التسمية الكبيرة.

هذا وقد اعتمدت في نشاطها الهادف إلى ترقية الأمازيغية، على الأعمال التي أنجزها الفرنسيون خلال فترة الاحتلال. وعُرف بَسْعُودٌ مُحَنَدٌ أعراب بشخصيته السياسية المتطرفة، وبمعاداته للحضارة العربية الإسلامية. ومن الإنصاف أن نعترف بدور هذه الجمعية (الأكاديمية البربرية) في نشر "الوعي الأمازيغي" بين سكان القبائل، لكن عيبها أنها طرحت القضية الأمازيغية طرحا تنافريا، مع المكوّن العربي الإسلامي، أدى إلى زرع البغضاء والشحناء بين الجزائريين.

ومن دواعي الأسف أن الحكومات الجزائرية المتعاقبة قد ظلت لزمّن طويل تتجاهل المطالب

الأمازيغي، الذي اعتبرته مجرد "بضاعة استعمارية"، في حين أن السياسة الرشيدة كانت تقتضي إنقاذ الأمازيغية من براثن دعاة تغريبها، والعمل على احتضانها بالحرف العربي، وعلى إعادتها إلى وعائها الصحيح، ألا وهو وعاء الحضارة الإسلامية، التي تعتبر تعدد الألسن آية من آيات الله (أي الوحدة في إطار التنوع).

المطلب الأمازيغي بدأ في منطقة القبائل قبل بقية المناطق الناطقة بالأمازيغية: شنوة، الأوراس، وادي ميزاب، الهقار والطاسيلي..، ما هي أسباب ذلك ؟

يمكن تفسير ذلك باتساع رقعة منطقة الزواوة (القبائل)، وكثافة سكانها، وتعلق أهلها بلغة الأمومة، وإلى ارتفاع درجة "الوعي" الذي يفسر بعوامل تاريخية واجتماعية لا يتسع المجال لذكرها. لذا كانت هذه المنطقة ولا زالت تشكل "السلطة المضادة" للحكم المركزي. وبالنظر إلى هذه المميزات، فإنه من

الطبيعي أن تُعرف المنطقة بمواقفها الرائدة في مجالات شتى، كالحركة الوطنية التحررية، والدفاع عن المكون الأمازيغي في الشخصية الجزائرية، والدفاع عن مشروع الدولة الديمقراطية.

مرت، مؤخرا، ثلاثة عقود على اندلاع أحداث الربيع الأمازيغي (20 أفريل 1980)، ماذا حققت الأمازيغية منذ منع مولود معمري من إلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو حول الشعر القبائي القديم؟

لقد حققت انتفاضة الربيع الأمازيغي الهدف المنشود، والمتمثل في الاعتراف بالأمازيغية كمكون أساسي في الهوية الجزائرية، وهذا بموجب تعديل الدستور الذي تم سنة 2002م.

بعد إضراب المحافظة الذي شنته الحركة الثقافية البربرية في مدارس منطقة القبائل سنة 1995، أنشأت السلطة المحافظة السامية للأمازيغية، وبعد

حوالي 17 سنة، من إنشاء هذه المحافظة، هل نجحت هذه الأخيرة في أداء مهامها؟

يعتبر إنشاء هذه المحافظة أحد الانتصارات التي
كللت النضال الثقافي الأمازيغي. أما عن تقييم نشاطها
فتختلف آراء المهتمين بالشأن الأمازيغي، فالقائمون
عليها يعتبرون حصيلتهم ايجابية، في حين يراها
البعض الآخر سلبية بحكم عزوف الشباب عن الإقبال
على تعلمها في معظم ولايات القطر.

أثير الجدال، مؤخرا، بينك وبين الروائي يوسف
مراحي، الأمين العام للمحافظة السامية للأمازيغية
عبر إحدى الجرائد، حول الخط الأنسب لكتابة
الأمازيغية؛ حيث تفضل أنت الحرف العربي وينادي
السيد مراحي بالحرف اللاتيني، فيم تتمثل الأسس
العلمية التي تدعم بها اختيارك لهذا الحرف ؟

لقد أسيل حبر كثير حول هذه النقطة الهامة، وهي
إشكالية موضوعية جدية بالمناقشة، وتحتاج إلى

دراسة هادئة، يشترك فيها السياسي والمتقف والمُربي وعالم الاجتماع، لأنها قضية تهم مستقبل الجزائر، وهي على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة في نفس الوقت. لذا أرى أنه ليس من الحكمة ترك أمر تقرير مصير كتابة الأمازيغية للمحافظة السامية فقط، علما أن هذه الأخيرة قد اختارت الحرف اللاتيني، الذي وضعته المدرسة الفرنسية في القرن 19م لكتابة اللغة الأمازيغية. في حين أن تراث هذه اللغة قد كتب لقرون عديدة بالحرف العربي، ولا يزال الكثير يستعملونه في حياتهم اليومية إلى يومنا هذا. والحق أن الإبداع الأمازيغي (خاصة الشعر القديم) قد ارتبط بالحرف العربي حتى صار هذا الأخير مكوّنا أساسيا في هذه اللغة. فضلا عن ذلك فإن الحروف العربية هي الأنسب لتدوين منطوق الأمازيغية. وهكذا يتجلى بوضوح أن موقفي مبني على معطيات علمية ومعرفية، ولا علاقة له بالطرح الإيديولوجي الذي يتهمني به أنصار كتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني.

تدرّس الأمازيغية في عدة مناطق ناطقة بهذه اللغة مثل: القبائل، الأوراس، الهقار... الخ، ما رأيك في تدريس هذه اللغة ؟

تدريس الأمازيغية أمر ايجابي من شأنه أن يعمل على حفظ ثقافتنا الأصيلة باعتبارها تراثا إنسانيا. كما يعتبر أيضا أداة تساعد المؤرخ والأديب وعالم الاجتماع على فهم الماضي وتفسير الكثير من أسماء الأماكن، والعادات والتقاليد، في ربوع المغرب الكبير.

هل أنت مع الطرح المنادي بالأمازيغية كقضية ثقافية ولغوية فقط، أم مع من يطالب بذلك في إطار مشروع مجتمع يتضمن إلى جانبها حقوق الإنسان، المساواة بين الرجل والمرأة، فصل الدين عن السياسة ؟

إن اللغة الأمازيغية لا تحمل شحنة إيديولوجية في ذاتها، فهي لغة يعبر بها أصحابها عن أفكارهم المختلفة السائدة في المجتمع. يستعملها الصوفي،

والفقيه، والأديب، والليبرالي واليساري، والعلماني،
والورع، وغير الورع على حد سواء، شأنها شأن
جميع لغات العالم، فهي مثل العربية التي أنجبت من
جهة شاعر الخمریات أبا نواس ، وأنجبت الفقهاء الذين
أسسوا المذاهب الأربعة من جهة أخرى. فاللغة كائن
حي، تعبر عن واقع المجتمع المتضارب في مشاربه،
وبالتالي لا يمكن ربطها بإيديولوجية معينة.

**المثقف المفرنس أكثر قبولا بالأمازيغية من
المثقف المعرب، وقد صرحت - في حوار صحفي مع
إحدى الجرائد - بأن المثقف المعرب "خان
الأمازيغية"، ماهو تفسير قبول الأول ورفض الثاني
لأحد أبعاد الهوية الوطنية ؟**

السبب في رأيي يعود إلى توفر المصادر
والمراجع الفرنسية الخاصة بالأمازيغية ثقافة ولسانا.
ويمكن أن نضيف إلى ذلك اتساع أفق المثقف

المفرنس، بحكم إحاطته بالثقافة الديمقراطية، والطرح العلمي الذي يحترم التنوع الثقافي والفكري والفلسفي.

وهذه المصادر والمراجع أنتجها الباحثون الفرنسيون منذ القرن 19م، لاعتبارات غير علمية في عمومها، إذ جاءت في سياق السياسة الاستعمارية المبنية على قاعدة "فرّق تسد". لكن علينا أن نعترف أنهم أسدوا لنا خدمة علمية عن غير قصد، تجلت في تدوينهم لبعض مظاهر ثقافتنا الأمازيغية، وكان من المفروض أن تولي الجامعة الجزائرية عنايتها لهذه المصادر والمراجع، من أجل غربلتها وتمحيصها قصد الاستفادة من النصوص، والتخلص من القراءة الاستعمارية لها. لكن المثقف المعرب لم يقم - مع الأسف- بهذه المهمة، بل سوّى في الرفض بين النصوص المفيدة، والقراءات الفرنسية المضرة. كما أنه ذهب ضحية للفكر السياسي الأحادي الشمولي، السائد في العالم العربي، وقد اختزل الوحدة في "الأحادية اللغوية والثقافية"، في حين أن الواقع الثقافي

الجزائري متنوع، وعليه فإن الفهم الصحيح كان يقتضي تبني "الوحدة في إطار التنوع".

خصصت أحد كتبك لمدينة أزفون بتيزي وزو، حمل الكتاب عنوان: "أزفون تاريخ وثقافة"، ومن هذه الأخيرة ينحدر جزء هام من أعلام جرجرة، ماهي العوامل التي ساهمت في تميّز مدينة الحاج امحمد العنقى؟

أنجبت منطقة أزفون العديد من المثقفين في مجالات كثيرة (الغناء/ المسرح/ الرسم / الموسيقى/ الشعر/ الكتابة الإصلاحية...) حتى صارت ظاهرة ثقافية. ويمكن تفسيرها بالمقابلة والمثاقفة التي تمت بين الأمازيغية والعربية، بفضل حلول أهل الأندلس (آث وندلوس) بها، وكذا وقوعها بين مدينتين كبيرتين هما بجاية والعاصمة، شعّ منهما نور العلم والمعرفة لقرون عديدة.

نشرت على مدار عدة سنوات مجموعة مقالات
بإحدى الجرائد تحت عنوان "ثاموغلي"، تحدثت فيها
عن أعلام وأمكنة من الجزائر عامة ومنطقة القبائل
بصفة خاصة، ماهي قراءتك لتحويلات المجتمع
القبائلي بين الأمس واليوم: سياسيا، اجتماعيا،
ثقافيا؟

إن ما يستخلص من هذه المقالات، أن منطقة
القبائل لم تكن عبر تاريخها الطويل جزيرة معادية
للمحيط الوطني. بل كانت قلعة للعلم والإسلام
والعربية، أنجبت مئات العلماء الذين ساهموا في إثراء
الحضارة العربية الإسلامية. وهي أيضا قلعة للوطنية
والجهاد. هذا وقد أثنى جمهور القراء على هذه
المقالات، واقترح بعضهم نشرها في شكل كتاب لتعميم
الفائدة، وهو اقتراح استحسنته. أما عن راهن المنطقة،
فهي كغيرها من المناطق الجزائرية، تعاني من
التخلف، ومن تراجع القيم الأصيلة، ولعل ما يؤكد ذلك
ارتفاع نسبة الانتحار.

بين المناضل والأكاديمي، من تحتاج إليه الأمازيغية، اليوم، أكثر؟

يمكن القول بصفة عامة أن دور النضال السياسي
قد انتهى بعد دسترة الأمازيغية. والمجال اليوم مفتوح
للباحث الأكاديمي الذي عليه أن يتسلح بالأدوات
المعرفية من أجل ترقية الأمازيغية لغة وثقافة.

نشر بجريدة النصر: 12 جوان 2012.

الروائي بشير مفتي:

"أشعر أن الجرائد تعادي نوعا من الثقافة التي

لا تهم الغاشي والشعب البسيط"

"تعودنا على عدم تثمين مجهود كتابنا

ومؤلفينا"

يرى مبدع رواية "أرخبيل الذباب" وأحد المشرفين على منشورات الاختلاف الروائي بشير مفتي، بأن الكتابة ليست طريقا معبدا بل محفور وملئ بالأشواك، وينصح من يرغب في الكتابة بالتعب والصبر والانتظار. وينظر مؤلف "بخور السراب" إلى الفاييس بوك كمنبر لتمرير أفكار الكاتب ورسائله ومواقفه ويعتبره ثورة هادئة وناعمة وجميلة. يتحدث صاحب رواية "خرائط لشهوة الليل" - في هذا الحوار - عن موضوع روايته الجديدة التي ستصدر - قريبا - بعنوان: "أشباح المدينة المقتولة":

كتبت مقالا بجريدة الحياة اللندنية بعنوان:
"الطلاق بين الصحافة والكاتب الجزائري"، هل
للكاتب الجزائري دور في حدوث هذا الطلاق ؟

ليس بالطبع الكاتب هو المسؤول عن ذلك، في زمن سابق كانت الصحافة تحترم الكاتب وتقدم له صفحاتها لترفع من مستواها ولتساعد على نشر الوعي والمعرفة في المجتمع، أما اليوم، فأشعر أن لا أحد يهتم والسبب أن الجرائد الخاصة تريد الربح، أما العامة فأمرها معقد ولا تهتم بالأمر كثيرا..والكاتب يبتعد شيئا فشيئا أو يوما بعد آخر عنها، أتمنى أنه طلاق مؤقت.

ساهمت لعدة سنوات في عدة ملاحق ثقافية
بالجرائد الجزائرية، كيف تنتظر، اليوم، إلى وجود
جرائد يومية لا تخصص ولا صفحة واحدة للثقافة ؟

أشرفت على ملحق واحد اسمه "الأثر" بجريدة الجزائر نيوز، عملت على أن يكون متميزا ومختلفا،

كانت فرصة قبلتها رغم ظروف العمل الصعبة والمشاكل التي لا داعي لذكرها.. المهم سعدت بتلك التجربة حتى توقفت عنها، واليوم، أشعر أن الجرائد تعادي نوعا من الثقافة التي تنظر لها على أنها نخبوية ولا تهتم الغاشي والشعب البسيط.. وهنا الكارثة تقريبا. اختيرت روايتك "دمية النار" ضمن القائمة الطويلة للبوكر ثم القائمة القصيرة، هل يمكن أن نتفاعل بفوز نص جزائري بالبوكر يوما ما ؟

أتمنى ذلك في يوم من الأيام لا شيء مستعصي على الروائي الجزائري، لكن قبل أن ننجح في الخارج يجب أن تتوفر بعض شروط النجاح المنعدمة في الداخل، فالساحة عندنا جافة وقاتلة والكتابة مثل عمل فردي منعزل ومهمش ومتروك لحاله، فصعب إدراك الغايات البعيدة والقريبة بعد.

بعد النشر المشترك بين منشورات الاختلاف (التي تشرفون عليها) والدار العربية للعلوم ناشرون

بلبنان، بدأت تجربة جديدة مع منشورات ضفاف
البيروتية، من خلال رواية "لها سر النحلة"
للدكتور أمين الزاوي، ماذا حقق النشر المشترك
للكاتب الجزائري ؟

ضفاف هي مشروع جديد للأستاذ بشار شبارو
وهو حليفنا من البداية وهي مسيرة تتواصل وتترسخ
مع السنوات، فعبرها فتحنا للصوت الجزائري مكانا
خارج الجزائر كي يصل للقراء العرب، فأنت تعرف
كم يعاني الكاتب الجزائري من الانتشار خارج بلده لقد
كان الأمر محتكرا من طرف أسماء قليلة مثلا في
الرواية لم يكن يعرف المشاركة إلا واحدا أو اثنين من
الجيل القديم، الآن يعرفون أسماء كثيرة ويعرفون
حركات النقدية والفكرية حتى وإن ظل الإقصاء
الجزائري في الداخل مستمرا على الدوام لأننا تعودنا
على عدم تهمين مجهود كتابنا ومؤلفينا.

أشرفت منشورات الاختلاف لعدة سنوات على
جائزة مالك حداد للرواية، ولكن هذه الجائزة اختفت،
ألم تفكروا في القيام بمبادرة إنشاء مسابقة لتحفيز
الروائيين الجزائريين ؟

للأسف، لا لم نفكر ..لقد عملنا كل ما بوسعنا
لتنجح تجربة الجائزة وهي نجحت وحقت ما هدفت
إليه وأثمرت ولكن قررت صاحبته توقيفها، فلم
نعترض هي صاحبته وهي من يقرر ونحن كنا نعمل
من أجل تشجيع الرواية الجزائرية لأن العمل الميداني
كنا نبذله نحن وليس غيرنا وحرصنا على أن تكون
للجائزة مصداقية حقيقية ومن يفوز بها، يفوز عن
جدارة لأن لجنة التحكيم كانت تتكون من أسماء جادة
وكبيرة: يماني العيد، نبيل سليمان، إدريس الخوري،
جمال الغيطاني..الخ. والآن من يريد أخذها فعلى الأقل
ليحترم مصداقيتها لأن جوائزنا بصراحة مطعون في
أمانتها وصدقها من زمان وحتى الآن.

نظمت الجزائر مجموعة من التظاهرات الثقافية الكبرى مثل: سنة الجزائر بفرنسا (2003)، الجزائر عاصمة الثقافة العربية (2007)، المهرجان الثقافي الإفريقي (2009)، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية (2011)، هل أضافت هذه التظاهرات شيئا للثقافة الجزائرية ؟

صراحة صرفت أموال طائلة على الهباء ..طبعا الكثير استفاد حتى بعض الأدباء طبعوا دفعة واحدة عشرات المجموعات والأعمال الشعرية والقصصية والنصوص والخواطر والتفاهات..تصور كتاب عن التدخين وأضراره الصحية يطبع في مناسبة عاصمة الثقافة العربية، أما الكبار فطبعت أعمالهم الكاملة مع أنها كتب موجودة في السوق ولم يقرأها أحد ..بعض الناشرين استفادوا والبعض لم يدخل في هذا المعترك البعض يتفرج ويمدح والبعض يصرخ ويحتج ..لا أستطيع صراحة تقييم كل هذا ..أنا شخصا أكتب وأناضل وأناقش خارج هذا السياق لأن من يدخله

يتعفن لكن تعودنا على أن البعض يدخل ويأكل ويشرب ويعفس ثم عندما يخرج منه يبدأ في الاحتجاج ..الثقافة الجزائرية بحاجة لمن يخلص العمل لها ..المال موجود لكن كما يقال الدماغ غائب.

"أصابع لوليتا" "لواسيني لعرج"، "السيف والرصاص" "لأبي العباس برحائل"، "لها سر النحلة" "لأمين الزاوي"، "نورس باشا" لهاجر قويدري، "قبور الياسمين" لإبراهيم وطار، "الماسة" لإزدهار بوشاقور، "نادي الصنوبر" لربيعة جلطي، "سفيرة من الريف" لياسين حامد، "الحالم" لسمير قاسيمي..، هذه آخر الأعمال الروائية للكتاب الجزائريين، أين موقع الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية مغاربية، عربية، عالميا ؟

هي موجودة الآن بعض التجارب تتضج وتترسخ قيمتها سنة بعد سنة والبعض يحاول البروز وإعطاء نصه فرصة هذا من حق الجميع والرواية كالكتابة

ليست طريقا معبدا بل محفور وملئ بالأشواك من يرغب في الكتابة عليه أن يتعب ويصبر وينتظر.. البعض طبعاً متعجل ويرغب أن يصل بسرعة مع أنه في الأدب لا يصل أحداً إلى أي مكان نحن نبقي ندور ونبحث عن اكتشافات جديدة كل مرة.. أعتقد بأن بعض الأسماء الجديدة تظهر قوتها الأدبية وتحتل بعض المساحات التي لم تكن موجودة فيها من قبل.. تعرف في العالم العربي لا أحد مستعد للترشح عن مكانه ليتزكك لك يجب أن تعمل بجد حتى تأخذ هذا المكان وتحتله.. طبعاً يبقى المنتج الجزائري ضعيفاً والدليل على ذلك المشاركة في جائزة البوكر العربية؛ حيث تجد 50 رواية من مصر وبين 10 و15 من سوريا ولبنان والجزائر تشارك بخمس روايات أو أقل. نحن في الاختلاف كل سنة نشارك بثلاث أعمال وصلت رواية سمير قسيبي للقائمة الطويلة ووصلت روايتي للقصيرة وهو نجاح لرهاناتنا الأدبية في النشر.

لك حضور مكثف على الفايس بوك، كيف يمكن أن تفيد شبكات التواصل الاجتماعي الكاتب ؟

أنا أسكن بالجزائر العاصمة لا توجد مقاهي
محترمة تصلح لأن تأخذ لك مكانا فيها وتقرأ
وتكتب.. لا توجد فضاءات ثقافية ..تجد حياتك كلها
تمضي بين العمل والبيت وهذا ما يجعل الفضاء الفايس
بوكي يحتل مكانة في حياتك ..هو منبر كذلك لتمرير
أفكارك ورسائلك ومواقفك واعتبره ثورة هادئة وناعمة
وجميلة.

ما هو موضوع آخر عمل روائي تشتغل عليه
حاليا؟

أنهيت رواية ستكون حاضرة مع المعرض
الدولي للكتاب في 21 سبتمبر، بعنوان "أشباح المدينة
المقتولة" رواية متعددة الأصوات يحكي كل شخص
فيها قصة حياته من بداياتها إلى نهايتها..إنها رواية عن
الذاكرة المثخنة بالعنف والأسئلة الشائكة التي تطرحها

الأجيال حقبة وراء أخرى وهي رواية الحنين لمدينة
الجزائر التي رغم خرابها تسكنني أشباحها وأمكناتها
وأطيافها البعيدة.

نشر بجريدة النصر: 04 سبتمبر 2012.

الشاعر والمترجم عمر أزراج:

"مجتمعاتنا تتفنن في تعميم تكنولوجيا تشويه

المفاهيم الإنسانية الكبيرة والجميلة"

"الاشتراكية هي العقلانية المسلحة بالأخلاق

الرفيعة، ولم تكن السلطة الحاكمة في الجزائر

اشتراكية"

يكشف الشاعر والمترجم عمر أزراج - في هذا

الحوار - الكثير من التفاصيل المتعلقة بقصيدته، التي

خاطب فيها الحزب الواحد ودعاه من خلالها إلى

التجدد أو التعدد أو التبدد. هذه القصيدة التي روى

قصتها في كتاب صدر بمناسبة معرض الجزائر

الدولي للكتاب (2012)، وحمل عنوان "قصة

قصيدة"، بعد أن نشر القصة سلسلة بإحدى الجرائد

الخاصة.

عن القصيدة، زيارته لتونس، المثقف
الجزائري، الاشتراكية، الترجمة، المرحوم عبد الحميد
مهري.. دار هذا الحوار:

زرت، مؤخرا، الجارة تونس، كيف هي رائحة
عطر الياسمين، بعد أكثر من سنة ونصف على فرار
بن علي؟

نعم قد زرت، مؤخرا، تونس في مهمة فكرية؛
حيث شاركت في الندوة الدولية حول "الفلسفة
والديمقراطية والثقافات العابرة للدول" التي نظمتها
منظمة اليونسكو وجامعة كاسيل الألمانية. في هذه
الندوة التقيت بعدد من المثقفين والمفكرين والمتفلسفين
التونسيين والعرب والغربيين. لقد كان الهدف من
عقدها في تونس هو الاحتفاء بما يدعى بالثورة
التونسية ولقد لاحظت أن معظم بل كل المداخلات قد
انصبت على الجانب النظري وربما لأن الديمقراطية
توجد، كالعادة، في الأذهان وغائبة في الواقع الملموس

وفي حياة الناس. لقد وجدت تونس مطوقة بالفوضى بسبب عطالة الدولة وجراء انكماش المجتمع المدني على نفسه ونتيجة لذلك أصبح الشعار الليبرالي التقليدي الغربي المرفوع وهو "دعه يمر ودعه يعمل" قد أصبح في تونس كما في بلداننا أيضا "دعه يمارس الفوضى ودعه يفرّخ الأحزاب التي تبحث عن السلطة والكرسي". لقد سألتني لكي أحدثك عن "رائحة الياسمين" وأنت تعني بهذا المجاز رائحة الحريات في تونس بدون أدنى شك. ماذا أقول لك بالتحديد بهذا الخصوص ؟ ففي رأيي الخاص فإن مجتمعاتنا تتفنّن دائما وعن سبق إصرار في تعميم تكنولوجيا تشويه المفاهيم الإنسانية الكبيرة والجميلة منها مفهوم الحرية. وبهذا الخصوص تذكرت، وأنا أتمعن في سؤالك اللماح وأقلبه ذات الشمال وذات اليمين، مضمون الحوار الذي دار يوما بين غاندي، بمناسبة زيارته لبريطانيا التي كانت حينذاك تحتل بلاده الهند، وبين مجموعة من الإعلاميين البريطانيين المزهوين بإمبراطوريتهم. في

هذه المناسبة الاستثنائية جدا سأل أحد الصحفيين الانكليز غاندي، الذي كان يقود عنزته، عن رأيه في الديمقراطية فأجابه الزعيم الهندي صاحب نظرية المقاومة ضد الاستعمار بدون ممارسة العنف بسرعة البديهة. قال غاندي لذلك الصحفي ولبريطانيا المستعمرة أيضا: "إنها فكرة جميلة".

في سنة 1984، صدحت بقصيدتك "العودة إلى ثيزي راشد" ببسكرة، هل ساهمت هذه القصيدة بشكل ما في وقوع أحداث أكتوبر؟

إن الذي يحزنني كثيرا هو أن قصيدتي "العودة إلى ثيزي راشد" مظلومة من السياسيين الجزائريين المنضوين تحت المظلة الحديدية لحزب جبهة التحرير الوطني. لقد كان من المفروض أن يفرحوا بها لأنها أيقظتهم من سباتهم الديكتاتوري بدلا من معاملتها ومعاملتها بقسوة ولا يزالون، مع الأسف، ينظرون إليّ حتى "لينا هذا" كولد عاق ينبغي تأديبه بالتهميش

والإقصاء. فالشاعر المسؤول أمام شعبه والتاريخ ودماء الشهداء لا يعارض وطنه وإنما يعارض حراس التخلف والحكم الجائر. أنا أرحب دائماً بالمنفى وبالتهميش إذا كانا يبعدانني عن مركز الطغيان. أنا لا أستطيع أن أقول لك بأن قصيدتي "العودة إلى ثيزي راشد" قد ساهمت أو أنها لم تساهم في وقوع أحداث أكتوبر لأن ذلك أمر يقرره التاريخ ومن عاصروني. إنه لحد الآن لا أحد "علق العرجون حول رقبتني النحيلة"، ولا أحد كرمني سوى بالنسيان الشرس. أريد أن أقول بأن الشاعر ملتزم بمهمة إفاقة الناس من النوم وليس بمهنة وضع الأكماء على عيونهم حتى يخادع المارة ليظنوا أنهم مستغرقون في الأحلام التي تحرس نومهم.

صدر لك، خلال السنة الحالية، كتاب يتناول قصة قصيدتك السالفة الذكر، وذكرت في هذا الكتاب بأن المرحوم عبد الحميد مهري نصحك بمغادرة الجزائر، لماذا اهتم "سي مهري" بقصيتك؟

الراحل عبد الحميد مهري كان صديقا عزيزا لي. عندما تعرضت لمحاولة تصفية جسدية في شارع "طانجي" بالعاصمة الجزائرية بعد قراءتي لقصيدة "العودة إلى ثيزي راشد" بشهور أمام جمهور مدينة بسكرة ثم أمام جمهور وهران في عام 1984، شعرت بالخطر وفهمت أن المسألة جدية وينبغي أن أفعل شيئا عندئذ قصدته في مكتبه ورويت له قصة الحادث فقال لي بصريح العبارة بأنه على علم بخطورة الموقف وأنه لا يستطيع أن يوقف مشيئة أولئك العطشى إلى الدم ثم أوضح لي أن ملفي يوجد بين أيدي فولاذية. أذكر تنهيدته الحزينة عندما نصحني بمغادرة البلاد لفترة من الزمن حتى تهدأ العاصفة. أحسست أن مشاعر الأبوة استيقظت في جوارحه بغض النظر عن خلافي مع الحزب الذي كان هو أحد أقطابه الكبار، وبالفعل عملت بنصيحته وغادرت إلى لندن؛ حيث مكثت 22 سنة كاملة وأذكر أننا التقينا هناك بعد أن زحزحوه من منصبه كأمين عام لحزب جبهة التحرير

الوطني وحمل معه إليّ عددا من جريدة "ليبرتي" الجزائرية الناطقة بالفرنسية؛ حيث كتب أحد الصحفيين مقالا فيها عني تحت عنوان "الشاعر والعرافة" وعندما سألته عن رأيه في العنوان قالي مازحا: "هل عندك ورقة التوت حتى نرسلها لهم".

تحدثت في هذا الكتاب عن واقع الثقافة والمثقفين زمن الحزب الواحد، هل تختلف علاقة المثقف بالسلطة في زمن التعددية عن علاقته بها زمن ما قبل أكتوبر 1988 ؟

بصراحة، لقد كان المثقف الجزائري غير المنضوي رأسه تحت "شاشية" النظام الحاكم قبل التعددية الحزبية أكثر صدقا وأكثر شجاعة وأوضح موقفا. في ذلك الوقت كان ثمة كبرياء وكانت هنا "فصائل" لا تقول شيئا واحدا مثل الحزب الواحد والأوحد أما الآن فالأغلبية صارت "فسائل" هشة تغني على ليلي "أكل وعيش". لقد استبدلت هموم الفكر

النقدي والمواقف الشجاعة ببضاعة الرأسمالية المغلفة بالشعار المرفوع: "كن قنفذا تسلم". في الجزائر لا توجد التعددية الحزبية بمعنى تعددية المشاريع المتمدنة والمتحضرة، وإنما فيها تعددية المصالح الشخصية، واستمرار ثقافة "الشروح المتعددة للرأي الواحد". أعتقد أننا في الجزائر قد قطعنا شوطا مهما في ردم الفارق الرقيق جدا بين المثقف والسلطة لأن المثقف عندنا، وخاصة الآن، مطعم بمسحوق التسلط وهو مستعد في أي لحظة أن يصبح ألعن من السلطة المتسلطة نفسها عندما يستولي على "البوفوار".

في نفس الكتاب دافعت باستماتة عن الاشتراكية ورفضت الرأسمالية رفضا مطلقا، ما رأيك في من يقول بأن الأيديولوجية الأولى سبب مآسي الجزائر السياسية والاقتصادية؛ حيث أقصت الرأي الآخر، علّمت المواطن الإتكالية وأغنت الأشخاص الذين تاجروا بشعاراتها ؟

لا أزال أرفض الرأسمالية التي عشت في عقر دارها ببريطانيا وشربت من سمومها على مدى 22 عاما. لقد صرت أعرفها جيدا [وهي عارية] ليس كفكرة فقط وإنما كواقع مر يطحن العمال والطبقات المهمشة أيضا. العيب لم يكن في الاشتراكية وإنما قائما في التطبيقات التي لا علاقة لها بها. لم تكن السلطة الحاكمة في الجزائر اشتراكية. ولم يكن من كانوا يتلثمون بها يملكون الحس الاشتراكي والثقافة والأخلاقيات الاشتراكية في قلوبهم وعقولهم وأرواحهم. أنا من المؤمنين أنه عندما لا تتحول الفكرة إلى إيمان وعاطفة فإنها تبقى مجرد "مكياج" خارجي يوضع في الليل على الوجوه لإخفاء التجاعيد ويمسحه النهار وكأن شيئا لم يكن. ثم إنه لا اشتراكية بدون ديمقراطية وبدون شعب مثقف وبدون قيادة مثقفة. إن الاشتراكية هي العقلانية المسلحة بالأخلاق الرفيعة وأنها ثقافة ووجدان وخيال مبدع وحدثا الجمال ومعمار الروح العادلة. أستطيع أن أعدّل عبارة

الفيلسوف الألماني جورج. ف. هيغل وأقول: "كل ما هو اشتراكي هو عقلائي وكل ما هو عقلائي اشتراكي وأخلاقي". إنه لا ينبغي أن نسقط في النزعة الاقتصادية ونفسر ونفهم الاشتراكية كمجرد تقسيم متساوي للثروة المادية فقط وإنما هي صنع للمصير الواحد وتحطيم لفائض القيمة المادي والمعرفي الذين تحتكرهما فئة لحد التخمّة.

بعد هجرتك من الجزائر، اخترت الاستقرار ببريطانيا، وقد ترجمت بعض الكتب من لغة شكسبير إلى لغة المتنبي، كيف ينظر الكتاب الإنجليز للجزائر والأدب الجزائري ؟

الكتاب الإنجليز لا يعرفون الجزائر إلا بالاسم وهم لا يعرفون الأدب الجزائري أيضا، فمن ذا الذي ينبغي أو يجب علينا أن نوجّه له العتاب أو نصرب على أصابعه بالفلقة ؟ مرّة قال أحد الشعراء: "من لا برّ له لا بحر له" ويبدو واضحا حتى لأولئك الذين

عاشوا مئات السنين في كهف أفلاطون أننا نملك كليهما
ولكننا أوصدنا أبوابهما دون شمس الحوار الثقافي مع
الشعوب وصرنا لا نرى أحدا ولا يرانا أحد.

لقد أصبحنا مكسسين في بقعة مظلمة ووحيدين
أكثر من اللازم في هذا العالم.

في إحدى لقاءاتك التلفزيونية، قلت بأن اللغة
العربية "غنيمة حضارية"، هل جاءت هذه العبارة
ردا على مقولة كاتب ياسين الذي يعتبر اللغة
الفرنسية "غنيمة حرب" ؟ وهل تعتبر الفرنسية
كذلك؟

أنا من أصل أمازيغي ولا يقيدني شك في هذه
الحقيقة ولكني أحب اللغة العربية لحد الإشراق
الصوفي وأحترم نضالها الحضاري ومقاومتها للموت.
نعم، إن المعرفة كلها "غنيمة حروب الإنسان ضد
التخلف والجهل والانغلاق". بهذا المعنى الذي أشدد
عليه وأتمسك به مثلما تتمسك الأرض بمدارها في

الفضاء الهائل، فإن جميع اللغات والفلسفات والفنون الراقية هي غنائم حرب.

وصف أحد الروائيين الجزائريين الكاتب المغرب بالكسول، هل للغة علاقة بالجد والاجتهاد ؟

لا أعتقد أبدا أن الكاتب المغرب كسول بالفطرة. هناك الصنف المجتهد والمبدع في صفوف الكتاب العربيين، كما أن اللغة العربية "ولادة" وشابة دائما ولا يدركها سن اليأس، وهناك أيضا فصيلة من الأدباء غير المبدعين ليس في اللغة العربية فقط وإنما في كل اللغات. ففي رأيي فإن من تسول له نفسه أن يقول عكس هذا فهو جاهل بالتاريخ وهو أيضا في حاجة ماسة إلى الرضاعة اللغوية سواء في شيخوخته المبكرة أو المتأخرة، ثم هل يمكن لنا أن نصف الكتاب الإغريق المعاصرين لنا بالكسالى بالفطرة ونقول في الوقت نفسه أن السبب هو اللغة الإغريقية. لو كان السبب هو اللغة فماذا نقول عن سوفكليس أسخيلوس وأفلاطون

وأرسطو الذين صنعوا أمجاد الفكر والأدب والفلسفة ؟
أليسوا كلهم أبناء اللغة الإغريقية؟

في معرض الجزائر الدولي للكتاب (سبتمبر
2012)، ارتفعت مبيعات الكتاب الأدبي وانخفضت
مبيعات الكتاب الديني، حسب ما نقلته الصحافة
الوطنية، كيف تقرأ هذا التحول ؟

لا أحب أن أوازن بين الدين والأدب وأن أجعل
المبيعات في معرض الكتاب معيارا لتقدم الكتاب
الأدبي على الكتاب الديني، ثم هل الكتاب الأدبي في
حلّ من الدين حقًا ؟

نشر بجريدة النصر: 13 نوفمبر 2012.

الباحث في الفكر العربي الأستاذ أحمد دلباني:

"أدونيس وأركون الأكثر جذرية في تناول

قضايا العرب والمسلمين"

"الإسلام العربيّ هو الأكثر تخلفا في الفضاء

الجغرافي الواسع والمتنوع الذي تغطيه الظاهرة

الإسلاميّة"

الأستاذ أحمد دلباني، كاتبٌ وباحث جزائري

مُنشغل بقضايا الرّاهن الفكري والثقافي والحضاري،

وأسئلة العقل العربيّ من منظور نقدي / ثقافي.

نشر العديد من الأعمال الفكرية والنقدية في

الجزائر وسوريا، من أهمّها: السمفونية التي لم

تكتمل، منشورات أرتيستيك، الجزائر 2007. فجيرة

التروبادور (حول الشاعر عبد الله بوخالفة)،

منشورات البيت، الجزائر 2010. مقام التحوّل

(هوامش حفريّة على المتن الأدونيّسي)، دار التكوين،

دمشق، سوريا 2009. سِفْرُ الخروج، دار التكوين،

دمشق، سوريا 2010. قدّاسُ السقوط، دار التكوين،
دمشق، سوريا 2012. وله مساهمات فكرية في عدد
من الجرائد الوطنية والعربية.

يصف الباحث ما تعيشه البلدان العربية منذ مدة
بالكساح الحضاريّ الطويل، ويجب - في هذا الحوار -
عن بعض الأسئلة وفي نفس الوقت يطرح الكثير
منها. ويرجع انفجارَ العنف إلى كون مجتمعاتنا
مكبوتة لم تترسّخ فيها بعد شروط التعبير الحر
والإبداع والبحث الموضوعي عن الحقيقة:

كتبتَ قبل مدّة مقالا بجريدة النصر بعنوان:
"المثقف النقديّ العربي - نحو اختراق السّبات
الإيديولوجي"، قلتَ فيه: "نعتمدُ أنّ وضع المثقف
العربيّ في اللحظة الراهنة يتجلّى، اليوم، في صورتين
رئيسيتين: المثقف الشموليّ المذهبيّ من جهة
والمثقف النقدي من جهة أخرى..". كيف تنظرُ إلى
صدى أفكار المثقف الأول والثاني شعبيا ؟

ذاك مقالٌ طويلٌ نسبياً ضمّنته كتابي "سِفْرُ الخروج" الصّادر في دمشق قبل نحو ثلاث سنوات، وقد نشرتُ منه نُبْذاً في جريدة النصر. أردتُ في هذا المقال أن أتناول مُشكلة حضور المُثقف في فضاء النقاش العام مُركّزاً على وظائفه الحالية التي أرى، شخصياً، أنها يجبُ أن تتمثل في التفكيك النقديّ استجابةً لروح المرحلة التي تعرفُ انهيار منظومات الفكر الشمولية. أردتُ، بمعنى ما، أن أتناول وضع المُثقف مُحاولاً أن أحدّد مهامه في عصر العولمة وعصر تفكك المرجعيّات والمركزيّات التي كانت - إلى عهدٍ قريب - حصنَ الإيديولوجيات المُختلفة أمام أزمة الحداثة الكلاسيكيّة وهي تنفتحُ على فاجعة تصدّع العقل الكوني. من هُنا حديثي عن صُور المُثقف عندنا عندما حصرتها في صورتين: المُثقف الشمولي المذهبي من جهة أولى والمُثقف النقديّ من جهة أخرى. فأما عن المُثقف الأول نحنُ نعرف جيّداً أنه ملأ السّاحة - منذ أكثر من نصف قرن - بزعيقه وشعاراته

التي أورتتنا خيبة وهزائم، وبمواقفه التي برّرت كل أشكال الاستبداد والأحادية الفكرية والسياسية. هذا هو المثقف القومي والبعثي والناصرى والاشتراكي. وأما المثقف الثاني فقد بدأ يتسلّل خفية إلى المشهد الثقافي والفكري عندنا من خلال الشقوق التي امتلأت بها قلعة الفكر الأحادي والمذهبي / الإيديولوجي في العقود الأخيرة. هو مثقف ظلّ همّة الخروج من السبات الإيديولوجي أو "السبات العقائدي" مثلما يحب أن يقول علي حرب. هذا المثقف حاول جاهداً استعادة مهام الفكر النقدية وافتاحه على مسألة الحقيقة والمعنى وقضايا الإنسان الراهنة من مُنطلق غير مذهبي. إنه مثقف ينهل من تراث الفكر النقدي / التفكيكي المعاصر في أكثر أشكاله طليعية، ومن لحظته التاريخية التي عرفت سقوط العقائديات الكلاسيكية وهجرة المعنى خارج أسوار الدوغماتيات والأصوليات المختلفة.

تسألني عن صدى أفكار المثقفين شعبياً؟ علينا أن نلاحظ أولاً أنّ مجتمعاتنا العربية ليست "الدورادو"

المُتَقَفِّين، وليست المكان الذي يضمنُ لهم فعالية تدخلهم في الشأن العام، وهذا لسببٍ بسيطٍ بالطبع: هو أنَّ الدولة الوطنية العربية ظلت - إلى عهد قريب جدًا - تحتكرُ الإعلام والمنابر المُختلفة، وتُهيمنُ على الفضاء المدني العام بشعاراتها وتخنقُ صوت الحرية الفكرية. لقد كان همُّ الأنظمة العربيَّة، بالأحرى، أن تُحيط نفسها بحاشية من مُتَقَفِّي البلاط الذين يمنحون الشرعيَّة للوضع القائم ويعتبرون فاعليات السَّؤال والنقد أمورًا نافلة أمام القضايا التي قصمت ظهورنا. ظلَّ هذا الوضع سائدًا، كما هو معروف، حتى لحظة إطلالة تكنولوجيا الاتصال والإعلام التي نخرت هيمنة الدولة وكسرت احتكارها للخبر والمعرفة ومساحات التواصل التي يُبنى فيها الرأْي العام. وإذا صحَّ أنَّ المتقف هو فعلا "صوتٌ من لا صوت لهم" كما يُعبّر فعليه، بالتالي، أن يقتحمَ المناطق المُعتمدة حيثُ تنكشفُ شبكة المراسلات الخفيَّة بين المعنى السائد وعلاقات الهيمنة،

وبين شرعية الوضع القائم وإرادة القوة التي تتلفح
بخطاب الحقيقة.

في نفس المقال قلت: " .. حدثتنا تمت في سياق
استهلاكي لا في سياق إبداعي .. ". ما هي الأسباب
التي أدت إلى فشل الحادثة في العالم العربي ؟

لست الوحيد الذي قال هذا الأمر عن حالة
استقبال الحادثة وتلقيها في عالمنا العربي؛ وربما لم
يكن كلامي هذا إلا ترديدًا لما قاله مثقفون نقديون
عربٌ كثيرٌ أثناء تأملهم في كُساحنا الحضاريّ الطويل.
وفعلا، لم تكن الحادثة التي اخترقت مجتمعاتنا بعد
الاتصال التاريخي الصّدامي بالآخر الغربيّ إلا تحديثًا
شكليّاً: كانت آلة لا عقلا، وتقنية لا روحا. هذا ما جعل
أدونيس، مثلا، يطرح سؤاله الشهير بعد هزيمة
حزيران في العام 1967 - مجابها خواء الإنسان
العربيّ وعجزه عن مواكبة حركيّة العالم إبداعيا
ورؤيويًا - متسائلا: "هل أستخدمُ السيّارة حقا، أم أنني

أستخدمُ فرساً من حديد؟". الحادثة الفعلية لحظة وعي وإبداع واحتضان لوجيب المرحلة التاريخية. الحادثة ليست استهلاكاً للمُنجز التقني وليست بناءً لدولة أمنية تُلبسُ الاستبداد الديني التقليدي العباءة العلمانية الحديثة. إنها، بالأحرى، زمنُ الإنسان الفاعل، وزمنُ انهيار المشروعات التي كانت تنهلُ من قداسة الماضي ومن المرجعيّات المُفارقة. فأين نحنُ من هذا؟ هل وُلد الإنسان العربي الحديث فعلاً؟ هل تخلّصنا من حضور الأب الثقافي والرمزي في حياتنا؟ وهل بوأنا الإنسان مركز دائرة القيم؟ فكيف نتحدّثُ عن الحادثة؟ من الواضح أننا نعيشُ على سطح العالم ولا نُسهِمُ في بناء الرؤى الخلاقة التي تصنعُ المُستقبل في أفق البحث والحرية والإبداع، وضمن هاجس عتق شرارة الإنسان من رماد مؤسسة التاريخ المُستنفد. أنظر إلى بلدان الخليج العربي مثلاً.

أعتقدُ، بالتالي، أنّ عوائق الحادثة في المُجتمع العربيّ يجبُ ألا تُختصرَ في الأسباب الخارجية أو

استبداد الأنظمة السياسية فحسب، وإنما يجب أن يُبحثَ عنها أيضا في ثقل التاريخ الذي لا يُريد أن ينتهي، وفي مُجمل الكوابح السوسيو- ثقافية التي تُميّز مجتمعاتنا كالبنية الاجتماعية البطريركية وهيمنة الذكورة وسيادة الفكر المرجعي في صورته الدينية بالأخص. إنّ هناك مقاومة للحدث واعتصامًا بفراديس الماضي الوهمية كلما شعر المجتمع التقليديّ بهجمة التغيير وتهديد حركة التاريخ التي لا تهدأ. لذا أقول باختصار: الحدث لا تُستعار. إنها انتفاضة الذات ضدّ نظام عملها الذي لم يُعد على موعد مع التاريخ. وأعتقد أنّ مجتمعاتنا - في عمومها - ما زالت رهينة عند زبانية الماضي.

نشرت في نفس الجريدة، مؤخرا، مقالا بعنوان: "نسق المُغلق: في نقد النظام الثقافيّ العربيّ"، جاء فيه ما يلي: " على الثقافة العربيّة أن تخرج من مفهوم الزمن الدينيّ الذي أنتج عصمة الماضي وكماله ومعياريّته لتدخل زمن الحدث الفعلية، أي زمن التقدم..". كيف يُمكن أن يتحقق ذلك؟

وقع في يدي، مرّة، كتابٌ عن الفيلسوف الفرنسي
جيل دولوز بعنوان: "نسقُ المُتعدّد". وكان من الواضح
أنّ صاحبه يتناولُ هواجس التفكير المعاصر عند
دولوز وفلسفة الاختلاف التي قوّضت أركان المركزية
الأوروبية وحطمت أمبريالية العقل الغربي. لقد أصبح
التعدد يُفصح عن ذاته خارج أسوار المركز التاريخي
التي رفعتها نرجسيّة المنتصر. ربّما كان هذا هو
المضمون الفعلي للكتاب. تساءلتُ: إذا ما تحدثنا عن
النظام الثقافي العربي فكيف يُمكن أن نصفه؟ وكيف
نُقاربه نقدياً؟ من الواضح أننا لم نوَسّ للتعدد وإنما
للانغلاق والتشرنق المذهبي وترسيخ معيارية
الماضي. هذا ما جعلني أرى في الثقافة العربية السائدة
مُؤسّسيا نسقا للمغلق لا للمُنفتح أو المتعدّد.

هذا ما جعلني، أيضاً، أنتقدُ حضور الدّين عندنا
باعتباره مُؤسّسة تكبحُ حركيّة المجتمع وإكليروس يلجم
انتفاضات العقل النقدي خارج الأستاذية العقائدية
المذهبية المكرّسة. أنظر تجريم الفكر النقدي عندنا

مثلاً، وانظر ممارسات التكفير وما تضرره من عنف يكشفُ عن البنية القمعيّة للمُجتمع التقليديّ ومُؤسّساته الموروثة. هل هذا الأمرُ محمُود؟ هل هو خصوصيّة ثقافية وحضارية كما يرى البعض بكلّ أسف؟ إنّ نقدنا لحضور الدّين الطّاغي في مُجتمعاتنا ليس رغبة منّا في قمع الناس أو حرمانهم من الشعور بالانتماء وعيش تجربة التعالي والروحانية. إنه، بالأحرى، نقدٌ لحضور الدّين المُؤسّسي؛ وهو – بدون أدنى شكّ - حضورٌ قمعيّ يخدمُ النظام الأبويّ الذي يمثل أكبر حاجز أمام إمكان انبثاق الفرد العربيّ المُستقلّ والمُبدع.

هذا عن الدين من وجهة سوسيولوجية باعتباره عائقاً أمام تحديث المُجتمع ومُؤسّساته. أما من الوجهة الفكرية/ الإيديولوجية فنلاحظ أنّ الدين الإسلاميّ عندنا لم يُتَح له تاريخياً أن يعيش بصورة جذرية ذلك التوتر الخصب مع قوى "الدّنيوة"، أي مع حراك تاريخيّ يدعوّه إلى إحداث المُراجعات الضروريّة مع موروثه الخاص استجابةً للتحديات المُختلفة. هذا ما أوقعه في

الروح الماضويّة التي تعتقّد بمعياريّة الماضي وكماله. وربما نستطيع أن نلاحظ أنّ الفكر المدعو "إسلاميًا" اليوم - بكلّ تياراته - لا يشذ عن هذا. من هنا اعتقّد أنّ على الفكر العربيّ أن يتأمّل جيّداً في قضية العلمنة بوصفها تحريراً للدين من المؤسّسة، وعتقا للإنسان من هيمنة المقدّس والماضي الذي يشلّ العقل والروح.

تستعمل كثيراً التحليل الأدونيّ والتحليل الأركونيّ في قراءة الفكر العربيّ. لماذا أدونيس وأركون تحديداً؟

لماذا أدونيس وأركون؟ لأنهما الأكثر جذرية في تناول قضايا العرب والمُسلمين، ولأنهما مفكّران جسّدا حرقّة العقل النقديّ في تفكيك التراث، وجرأة المواقف الحداثيّة أمام ثقل الماضي ومُشكلاته بعيداً عن أيّ هاجس توفيقيّ أو تلفيقيّ، وبعيداً عن همّ المُصالحة مع ما هو مُستنفذ مثلما نرى عند الكثير من المفكرين

العرب كمحمد عابد الجابري أو حسن حنفي، تمثيلاً لا
حصراً.

فأما عن صديقي الكبير أدونيس أعتقد أنه شاعرٌ
ومفكر ومتقف غير مُهادن، مثل شعره فتحا في الثقافة
الإبداعية العربية أيقظها على فتنة مُغامرة اللغة
والتشكيل والرؤيا خارج سيادة النماذج. كما مثل فكره
- منذ بواكيره - مُحاولَة اختراق لقلعة الاستبداد
المرجعيّ ونظام الحقيقة القائم على نصية المعرفة
بمعزل عن صخب التاريخ وتراجيديا العالم. إنه مُفكرٌ
يدعونا إلى أن نصغي قليلاً إلى ليل العالم، وأن نخرج
من الرؤى الشمولية إلى تجربة التفكيك في مُغامرة
المعنى.

وأما البروفيسور الراحل محمّد أركون فأعتقد أنه
أكبر مُفكر عربيّ في مجال الإسلاميات. إنه مُفكرٌ فتح
أضابير اللامُفكر فيه وجدّد، منهجياً، دراسة الإسلام
وتراثه ودراسة الظاهرة الدينية من خلال دمج المثال

الإسلامي ضمن برنامج ضخم للأنثروبولوجيا الدينية بعيدًا عن مُسبّقات الوعي القروسطي. لقد طرح أركون أسئلة غير مسبقة على التراث الإسلامي وواقع المسلمين اليوم؛ وكان في ذلك كله مُسلّحًا بمنهجية مفتوحة تنهل من فتوحات الفكر النقدي في أحدث تجلياته واختراقاته. وما يشدني إليه أكثر هو نضاله أيضًا من أجل الأنسنة الغائبة عن واقع المسلمين اليوم، رغم غنى التجربة التاريخية الإسلامية في هذا المجال كما بيّن، هو نفسه، في دراسات شهيرة.

أستاذ دلباني، هل تطورنا مُرتبط باتباع المسار التاريخي الذي سلكه الغرب من إصلاح ديني، ونهضة فكرية، وليبرالية سياسيّة واقتصاديّة ؟

لا يُمكن أن يكون تاريخ الحداثة الغربيّة مرجعًا مُطلقًا أو خطة جاهزة يجب إتّباعها من أجل الخلاص من الاغتراب التاريخي في دوائر القوى العمياء لإنتاج الواقع والمعنى. فرغم كون تجربة الحداثة الغربيّة

تجربة عظيمة حدّدت المسارَ العامَ لتقدّم العالم نحو إنسانيّة مُتحرّرة ومُبدعة عرفت الخروج من سُلطة الماضي، إلا أنها مثلت خصوصيّة أوروبية غربية ارتبطت بمُشكلات التاريخ الغربيّ ونضال العقل الأوروبيّ من أجل تجاوز مآزقه وحلّ تناقضاته التي أفضت - كما نعرف - إلى علمنة الحياة وإزاحة المرجعية الدينيّة من الشأن العام وتحرير الفرد من الوصاية.

ولكن من جهة أخرى نعتقُ أنّ هناك قيمًا حديثة لا نستطيعُ أن نعتبرها جزءًا من التاريخ الثقافيّ الغربيّ فحسب، وإنما هي شيء يتمتّع بطابع الكونيّة. من هنا قولنا إنّ الحداثة، اليوم، لا تتمثل في ضرورة إعادة إنتاج التجربة الغربيّة وإنما في العمل على ترسيخ قيم الحرية والديمقراطيّة والأنسنة بعيدًا عن كل أشكال الوصاية التي تعتمد شريعة الماضي لتسييج المُجتمع باليمنوع باسم الدفاع عن الخصوصية. فمن المعروف أنّ بيننا من يدافع عن تخلفنا باسم الدّفاع عن

الخصوصية في عهدٍ يحتفي كثيرًا بفضح المركزية الغربية وكونية ثقافتها المزعومة. كأنّ نقد التمرکز عند الآخر المهيمن يعني الدفاع عن القرون الوسطى التي ترفض أن تموت عندنا. أو كأنّ قمع الإنسان وإدانة الحرية الفكرية والإبداع وهضم حقوق المرأة تعتبر من خصوصياتنا التي يجب أن نستमित في الدفاع عنها. هذا المزعمُ برأينا باطلٌ ولا نتبناه. فلا شيء يعلو على الإنسان: هذا هو مبدأ الحادثة الفعلية وهذا روحها. إذ إنّ الحادثة – كما قلنا آنفاً – ليست تقنية ولا يمكن أن تُختزل في نموذج الحياة الاستهلاكي كما هو سائدٌ في بلداننا العربية التي يمنع بعضها المرأة من الانتخاب أو قيادة السيارة، ويكفر بعضها الآخر المفكر النقدي مطالباً بفصل زوجته عنه. إنّ الحادثة الفعلية هي – قبل كل شيء – نظامُ عمل جديد لمجتمع أصبح مرجع ذاته في أفق تجربة تاريخية لا يتم فيها الاعتصام بالماضي وإنما بروح الابتكار.

إنَّ الحادثة، بالتالي، ليست تاريخاً فحسب وإنما هي – بالأساس – موقفٌ كما أشار إلى ذلك ميشال فوكو. وأستطيعُ أن أجزمَ أنَّ الموقف العربي – الإسلاميَّ المبدئي من قضايا المعرفة والنظر إلى الإنسان والعالم ليس من الحادثة في شيء ما دام يعتمدُ وصاية الماضي أو مرجعيةَ الإيديولوجية التي تعتقدُ أنها أوقعت العالم في شباك النظرية المُتعالية. أقول هذا، طبعاً، مع ضرورة الإشارة إلى وجود استثناءات فكريّة تفكيكيّة تمثل مصابيحَ في عتمة السائد.

يُطالبُ البعض بحوار الثقافات والحضارات. هل يُمكن ذلك في ظل غياب الحوار بين التيارات المنتشرة في العالم العربيّ، بل وانعدامه حتى داخل التيار الواحد؟ وكيف هي علاقة هذه التيارات بالنقد الذاتي؟ أعتقدُ أننا يجبُ أن نوَسِّس، فعلاً، لأخلاقيات قبول الآخر ومُحاورته بانفتاح ورحابة عقل خارج سلطة المرجعيّات التي لا تقبل النقد أو تعتقد أنها تعلو عليه.

إنَّ مُجتمعاتنا تعرفُ انفجارَ العنف لأنها مُجتمعات مكبوتة لم تترسّخ فيها شروط التعبير الحر والإبداع والبحث الموضوعي عن الحقيقة. لم نشهد حراكا تاريخيا يغيّر من طبيعة علاقات القوة لصالح قوى التحديث والتقدم التي ظلت قليلة العدد سوسيولوجيا. وفي هذا ما يُفسّر - ولو جزئيا - السلوك العنفي ورفض الآخر المُختلف في مُجتمعاتنا. إنَّ للنقد الذاتي شروطا حضارية ومعرفية أهمّها الإيمان بنسبية الحقيقة وتاريخية المعنى، وحق الآخر في الوجود الكامل بوصفه شريكا في بناء الذات المُتحرّرة من مركزيتها. فأين نحنُ من هذا؟ ربما نطرحُ، هنا، مُشكلة الديمقراطية بمفهومها العقلي والثقافي باعتبارها شيئا غائبا عن البنيات الذهنية والاجتماعية التقليدية التي تميّز مُجتمعاتنا. إنَّ هناك، بالتالي، عوائق سوسيو-ثقافية أمام مُحاولاتنا اجتراح آفاق الحوار مع الآخر أو مُراجعة الذات انطلاقا من همّ نقدي يروم مدّ الجسور نحو الحقيقة المُتخلّصة من إرادة الهيمنة.

أتفقُ معك على ضرورة ديمقراطية حياتنا الثقافية والسياسية قبل الحديث السطحيّ الرَّائج اليوم حول حوار الثقافات والحضارات – وهو الهاجسُ الحالي الذي يكشفُ عن حياتنا الجديدة البائسة في تبرير تخلفنا بالتركيز على ضرورة احترام الخصوصيات الثقافية. كأنَّ ما يسودُ عندنا من فظائع مثل عدم احترام حقوق الإنسان والتمييز بين الجنسين وإدانة الفكر النقديّ تشكل كلّها هويّة عربية – إسلامية يجبُ صونها.

المُسلم مهتمّ بالبحث عن تفسير لأحلامه (النوم)، أكثر من سعيه لتحقيق آمال الرّقي والازدهار (الواقع). لماذا هذا الهروب من الواقع إلى اللاواقع ؟

أتفقُ معك في القول إنّ المُسلم، اليوم، غيرُ فعّال على أيّ مستوى في العالم. نحنُ أمة استهلاك، وأمة تعيشُ على نوستالجيا الفراديس المفقودة لأننا فقدنا زمام المبادرة التاريخية منذ قرون طويلة. هذا الوضع المأساويّ جعلنا نعتصمُ بقشّة الهوية المُهدّدة في مُحيط

التاريخ الأهوج. رُبَّما هذا ما ترى فيه أنت هروبًا من الواقع. ولكنني أعتقدُ – بالإضافة إلى ما سبق أن قلتُ – أنَّ مُسلمَ اليوم لا يستطيعُ، أيضاً، مُجابهة الواقع لأنه لا يملك العُدَّة المعرفية / النقدية الكفيلة بجعل الواقع حقلاً مُمكنات للعمل والإبداع والخروج من أسر القوالب الفكرية الجاهزة. المُسلمُ المُعاصر يريدُ تحيينَ الماضي "المثالي" لا الانقذاف في مجهول العالم وصنع التاريخ؛ أو تغيير صورة الواقع بما يُسهّم في تقدّم الإنسان وازدهاره، وبناء علاقة جديدة بالمعنى تُفلتُ من دائرة إرادة الوصاية والإخضاع التي تميز المُجتمع التقليديّ.

لو عاش الأمير شكيب أرسلان مؤلف كتاب: "لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟" إلى اليوم لعدّل، ربما، من سؤاله وجعله كالآتي: "لماذا تقدمت ماليزيا وتركيا وتخلفت جميع الدول العربية؟". بمّ تجيبُ عن هذا السؤال؟

من المؤسف أن يظلَّ سؤال الأمير شكيب أرسلان حيًّا إلى اليوم. هذا يعني أنَّ زمننا الثقافي راکدٌ ولم يعرف انبثاقَ أسئلة جديدة تتجاوز جذريًّا مُشكلاتنا العتيقة الموروثة عن صدمة لقائنا بالآخر الغربي. ما زالت أسئلة التحديث والنهوض والإبداع والمناعة الحضاريّة عالقة ولم تُحسم بعدُ رغم مرور نحو قرنين منذ أفقنا على فاجعة تأخرنا المُرَوَّع. وأعتقد أننا – إلى اليوم – لم نُحقِّق ما كان منشودًا، وإنما ما زلنا نتفنَّن في إطالة أمد الأزمة بالهرولة وراء سراب الاستهلاك الواسع في ظل غياب التنمية البشريّة الفعلية وهاجس بناء الإنسان العربيّ الجديد. أفهمُ الآن جيّدًا لماذا قال لي صديقي الكبير أدونيس – ذات يوم - في مُكالمة هاتفية: "لو زال العالمُ العربيّ كلّهُ، ما خسرَ العالمُ شيئاً!". هذا الأمر فاجعٌ بكلّ تأكيد. أليس كذلك ؟

أتركُ، هنا، مسألة ماليزيا لأنني لا أعرفها جيّدًا. ولكن هل تعرفُ، صديقي، لماذا تقدّمت تركيا كما تقول؟ الجوابُ واضحٌ: تركيا قطعت نهائيا وبصورة

حازمة مع موروثها السياسيّ والحقوقيّ الذي مثلته السلطنة التقليديّة ودخلت مُغامرة العلمنة مع كمال أتاتورك. كان ذلك الأمر إيجابيًا بكلّ تأكيد، رغم حدّته وانقلابيّته على الفضاء الرّمزي العريق الذي كان يؤثت نظام الحساسية والمعنى في المجتمع التركي. تركيا صنعت هويّة جديدة بعد أن تخلّصت من كوابح الهيمنة الدينيّة على الشأن السياسيّ وعلى الفضاء المدنيّ العام. ربما كانت هذه التجربة فريدة في العالم الإسلاميّ كله، ومثلت بعض تطلّعات الأنتلجنسيا والنخب الإسلاميّة التي سكنها مخيالٌ تقدّمي وفّرهُ النموذج الغربي الظافر آنذاك. لقد ورثت تركيا إسلاماً مُنهكا وغير قادر على تحقيق مناعته الذاتيّة في عالم أصبح يقوم على العلم والصناعة والأنسنة وإرادة القوة. من هنا نفهم ذلك السّحر الذي مارسهُ الغربُ على نخبنا الإسلاميّة منذ القرن التاسع عشر. فهل بإمكان الإسلام بكلّ تياراته السّائدة اليوم – الفكريّة منها والحركيّة – أن يُجابه التحديات التي تواجههُ أمام عولمة كاسحة تهدّد

كل الثقافات التقليدية الكبرى؟ هل بإمكانه أن يسهم في بناء عالم جديد على صعيد القيم وهو ما زال يتشبّث بموروث قروسطي لم يتعرّض للتفكيك والمراجعات النقدية الضرورية التي تفتحه على أسئلة العصر واحتياجاته؟ أترك الجواب هنا لكل من يُصرّ على الدفاع "عمّا يسقط" كما يُعبّر.

تجب الملاحظة هنا أنّ الإسلام العربيّ هو الأكثر تخلفاً في الفضاء الجغرافي الواسع والمتنوّع الذي تغطيه الظاهرة الإسلامية. وهذا الأمر لا يخرج عن كون الإسلام الموروث لم يعرف ثورة من داخله تقذف به خارج تقاليده الفكرية والسياسية التي ارتبطت بالعصور الوسطى. ما زلنا لا نحترم حقوق الإنسان، وما زلنا نعتبر المرأة كائناً قاصراً يحتاج إلى وصاية أبوية. ما زلنا لا نحترم حرية التفكير والمعتقد ونجرّم الفكر الحرّ إلى الحدّ الذي يجعل من كلّ مُفكر نقديّ عندنا شهيداً بالقوة أو غاليلاً ينوء تحت فداحة الإدانة الأبدية. ما زلنا نرتاب من الديمقراطية الفعلية لأننا لم

نستوعب أن يكونَ الإنسانُ مرجعاً مُطلقاً لكل مبادرة
تاريخية بمعزل عن أشكال الوصاية التقليدية. هل
عرفت الآن لماذا كل هذا التخلف الذي يكبحُ مجتمعاتنا
يا صديقي ؟

نشر بجريدة النصر: 05 فيفري 2013.

صاحب كتاب "رؤساء الجزائر في ميزان

التاريخ" الدكتور رابح لونيبي:

"الجزائريون ينتخبون بطريقة طفولية ورؤساء

الجزائر يتم اختيارهم بالتوافقات"

"إشارة بيان أول نوفمبر إلى المبادئ الإسلامية

لا تعني إقامة دولة إسلامية"

يرى الكاتب وأستاذ التاريخ بجامعة وهران أ. د

رابح لونيبي بأن الثورة الجزائرية، هي ثورة وطنية

وليست دينية، شاركت فيها كل التيارات الأيديولوجية

المكونة للأمة، وأن الهدف الذي حدده بيان أول

نوفمبر 1954، والمتمثل في إقامة دولة جزائرية،

ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، لا

يعني إقامة دولة إسلامية، كما يفهم البعض. ويقترح -

في هذا الحوار - نظاما بديلا للنظامين الرئاسي

والبرلماني:

ألّفت كتابا حول رؤساء الجزائر، ماذا يميّز رؤساء الجزائر عن بعضهم، وماذا قدّم كل رئيس للجزائر؟

إن كتاب "رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ"،
هو في الحقيقة تقييم أكاديمي لنصف قرن من تاريخ
الجزائر المستقلة، فقد حاولنا فيه تبيان أماكن الخلل
لتصحيحها والأشياء الإيجابية لتدعيمها، وذلك من
خلال دراسة أكاديمية لكل رئيس ونظامه وسياساته
والعوامل المؤثرة فيها، بل لم نكتف بذلك في الطبعة
الأخيرة؛ حيث أضفنا فصولا أخرى، ومنها خاصة
السيناريوهات المستقبلية بناء على إستخراجنا
للمحددات والمؤثرات في النظام الجزائري عبر كل
مراحله، ولهذا لا يمكن لنا القول أن هناك رئيسا أحسن
من الآخر، لأن لكل واحد منهم له إيجابياته وسلبياته،
أي له وعليه، ونترك الحكم للقارئ لأنه ليس من حقنا
إصدار حكما بذلك، بل قمنا بعمل أكاديمي بحت، وكان
من المفروض أن تقام عدة أعمال تقييمية فردية

وجماعية من أجل تبيان الخلل طيلة نصف قرن، بهدف القيام بإصلاحات عميقة للدولة على أساس علمي في إطار المساهمة في بناء دولة قوية على كل المستويات.

**من بربروس إلى بوتفليقة، هل توجد مكانة
لرؤساء مدنيين ضمن حكام الجزائر؟**

طبعاً، هناك رؤساء مدنيين ضمن حكام الجزائر حتى أثناء الفترة العثمانية، لكن السؤال ليس: هل هناك حكام مدنيين ؟ بل؛ كيف يؤتى بهؤلاء الحكام عبر تاريخنا الطويل ؟. ونعتقد أنه كانت لدينا دولة عبر التاريخ منذ نوميديا حتى 1830، لكن ليست دولة - الأمة الجزائرية كلها أين يكون للأمة السيادة في إختيار حكامها، بل الحكم كان يؤخذ بأساليب عدة ومنها العنف والقوة ويبدو أن هذا يخص كل الأمم عبر التاريخ حتى ظهر الحل الديمقراطي لمشكلة السلطة في أوروبا أين أصبحت الأمم الغربية تختار حكامها بإنتخابات حرة وتعددية؛ أي حلت مشكلة السلطة بالتداول السلمي

عليها، هذا في الوقت الذي لازالت الكثير من شعوب العالم الإسلامي يؤخذ فيها الحكم بالعنف مما يدخلها في عدم الإستقرار المزمّن والإنفاق الأمني الباهظ الذي كان من المفروض أن يذهب إلى الإستثمار الإقتصادي والإجتماعي.

هناك من يعتبر، عبد الرحمان فارس، أول رئيس للجزائر، وفي كتابك وضعت، المرحوم أحمد بن بلة، أول من حكم الجزائر، كما حكم المرحوم رابح بيطاط، بين وفاة بومدين واعتلاء الشاذلي سدة الحكم، ماهي الأسباب التي جعلتك تهمل الحديث عن عبد الرحمان فارس ورابح بيطاط؟

لم يكن عبد الرحمن فارس رئيسا، بل هو رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة التي انبثقت عن إتفاقيات إيفيان، لتسير المرحلة الإنتقالية والتحضير للإستفتاء، وقد عيّنت اللجنة من أعضاء من جبهة التحرير الوطني وأعضاء فرنسيين برضا الطرفين الجزائري

والفرنسي، أما رابح بيطاط، فكان مجرد رئيسا للدولة، وليس رئيسا للجمهورية الذي يجب أن يكون منتخبا، فحكم الجزائر طبقا لدستور 1976 الذي يقول بشغور الرئاسة مثل وفاة بومدين يسيّر الدولة رئيس المجلس الشعبي الوطني لمدة 45 يوما، حتى يجتمع مؤتمرا للحزب ليختار مرشحا وحيدا للرئاسة ثم يستفتى الشعب في ذلك، فهذا ما تم بعد وفاة بومدين، وبهذه الطريقة وصل بن جديد إلى السلطة عام 1979.

في صيف 1962، وقعت أزمة - والبعض يسميها فتنة - بين الحكومة المؤقتة وهيئة أركان جيش التحرير الوطني، بعد مرور نصف قرن على هذا الحدث، كيف تقرأ هذا الصراع، وهل انقلبت فعلا هيئة الأركان على الشرعية، كما يدّعي أنصار الحكومة المؤقتة؟

أعتقد بأننا اليوم لابد أن نسمي الأشياء بمسمياتها، فنقول بأنّ ما حدث عام 1962 هو انقلاب قام به

بومدين وبن بلة على الحكومة الشرعية بقيادة بن يوسف بن خدة، التي انبثقت عن المجلس الوطني للثورة التي أنشأها مؤتمر الصومام، والتي تعد السلطة العليا المجسدة لإرادة الأمة، وقد كان لهذا الانقلاب انعكاسات كبيرة على الجزائر المستقلة، مما طرح مسألة الشرعية لمدة طويلة في الجزائر، وقد فصلنا هذه الانعكاسات في كتابنا حول رؤساء الجزائر.

في شهر جوان 1965، تم الاتفاق بين الرئيس بن بلة والزعيم آيت أحمد، على إنهاء تمرد الألفافس العسكري، بالسماح لهذا الحزب بالنشاط الشرعي، هل لهذا الاتفاق علاقة بانقلاب بومدين على بن بلة ؟

هذه قراءة بعض التيارات، ومنها الألفافس، لكن نعتقد أن للإنقلاب أسباب وعوامل أخرى فصلتها في كتاب "رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ"، ويبدو أن الانقلاب قد خطط له منذ أن اختفى بومدين وراء بن بلة، كي يعطي شرعية تاريخية لإنقلاب 1962، على

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، كما سيكسب بين بلة دعم مصري لهذا الانقلاب، فقد أعاد بومدين الذي عاش في مصر نفس تجربة عبد الناصر مع محمد نجيب.

في 14 ديسمبر 1967، قاد العقيد الطاهر زبيري انقلابا فاشلا ضد بومدين، هل تختلف أسباب انقلاب 1967، عن أسباب انقلاب 1965 ؟

لا ليست هي نفسها بإستثناء إتهام بومدين لبن بلة بالإستبداد بالسلطة، وهي نفس تهمة الزبيري لبومدين، خاصة أن بومدين، كان قد أقصى أغلب أعضاء مجلس الثورة الذين حولهم إلى مجرد ديكور، ومنهم الزبيري، وأصبح يعتمد فقط على ما يسمى بـ "مجموعة وجدة" داخل مجلس الثورة، والتي لا تتعدى أربعة أفراد إضافة إلى بومدين.

تتدخل مجموعة من العوامل في اختيار رؤساء الجزائر، ما هو العامل الحاسم من العوامل التالية في

ذلك: الانتماء للجيش، الانتماء الجهوي، لغة التكوين، الانتماء الأيديولوجي ؟

ليس لهذه العوامل التي ذكرتها تأثير كبير في إختيار رؤساء الجزائر، فبن بلة أو بوضياف أو بوتفليقة مثلا، لا ينتمون إلى المؤسسة العسكرية، ويبدو أن إختيار الرؤساء يتم بشكل توافقي بين عدة قوى، وطبعا الطرف الأقوى ضمنها يلعب الدور الحاسم، فكل رئيس جيء به بأساليب مختلفة من رئيس إلى آخر، لكن فمثلا بوضياف لأنه من التاريخيين، وأتى به المجلس الأعلى للأمن في ظروف صعبة عاشتها الجزائر، أما بن جديد فجاء به ضباط كبار في الجيش، وعلى رأسهم قاصدي مرباح، ونفس الأمر لبن بلة مع بومدين وجيش الحدود، لكن يختلف الأمر مع آخرين، وقد فصلنا ذلك كله في كتابنا عند تطرقنا لطريقة وصول كل رئيس إلى السلطة، لكن ما هو مؤكد أنه ليس الشعب هو الذي أختارهم في إنتخابات حرة وتعددية، لأن المرشح هو وحيد، ولم تعرف الجزائر

انتخابات رئاسية تعددية إلا منذ عام 1995، أين تم
انتخاب زروال رئيسا.

نشرت مقالا، قبل أشهر، أشدت فيه بانجازات
المرحوم بومدين، في المجالين الاقتصادي
والاجتماعي، وانتقدت ما قام به في المجال السياسي،
مما دفع البعض إلى لومك على ما كتبت، كجزائريين،
لماذا نقدّس الأشخاص ونهمل الأفكار ؟

يعود سبب المقال إلى حوار طويل أجرته معي
يومية الخبر، في سؤال وضعته في ملف هو: هل
بومدين دكتاتوري؟، فأجبت قدر السؤال بشكل أكاديمي
بحت، أين بيّنت عن شروط القول عن رئيس ما أو
رجل سياسي أنه دكتاتوري أم ديمقراطي، فطبقتها على
الرئيس بومدين، وبيّنت كيف أن بومدين كان يمتلك
مشروعا اجتماعيا وإقتصاديا طموحا، لكنه فشل هذا
المشروع وذهب سدى بسبب غياب الآليات
الديمقراطية التي رأيت أنها شرطا أساسيا لنجاح ذلك

المشروع الطموح، لأن تحقيق العدالة الاجتماعية يحتاج إلى رقابة شعبية حقيقية وحريات التعبير والنقد التي كانت كفيلة بكشف المتلاعبين بذلك المشروع أو الخلل الموجود فيه ثم إصلاحه، ثم لاحظت أن البعض لم يفهم ما قلته، وأكتفوا بالقراءة السطحية للحوار، فاضطرت إلى كتابة مقال في نفس اليومية بينت فيه كيف أن البعض لا زالوا ينتظرون المهدي المنتظر، وغاب عنهم أننا اليوم بحاجة إلى دولة مؤسسات قوية تضمن العدالة والحريات، ولا يجب أن نعتمد على حاكم وأخلاقه، وإن كان يحب الفقراء أو الأغنياء، وأنه حان الوقت لإقامة دولة المؤسسات، وليس الأشخاص، لأنه من غير الممكن أن يرتبط مصير أمة أو شعب بأشخاص مهما كانت قدراتهم وفضائلهم، أما بشأن الأفكار فقد شرحنا ذلك مرارا، وهو أننا لا زلنا مجتمعات طفولية تهتم بالأشياء والأشخاص كما يقول بن نبي ولا نولي أي اهتمام للأفكار والبرامج، وهذا ما

يظهر بجلاء في مختلف الانتخابات في بلادنا؛ حيث
قلّما يعرف الناخب برامج المرشحين أو يسأل عنها.

بين النظامين الرئاسي والبرلماني، ماذا يفضل
الدكتور لونيسي، ولماذا هذا الاختيار ؟

في الحقيقة لكليهما عيوب، فقد بينت ذلك في
كتاب "أسس وميكانيزمات جديدة لدولة مسلمة
ومعاصرة" ثم في كتاب آخر هو "النظام البديل
للإستبداد- تنظيم جديد للدولة والإقتصاد والمجتمع-"،
وما نخشاه هو أننا لا زلنا نكرر نفس أسئلة 1962، ما
هو الأحسن الرأسمالية أو الاشتراكية ؟، دون أي
محاولة إبتكار نظام سياسي أو إقتصادي جزائري
خاص، فقد قمنا بهذا الأمر في كتابينا والعديد من
مقالاتنا، وانتقدنا كلا النظامين، ووضعنا نظاما آخر هو
أن أنه لا يمكن التصويت على رئيس ثم نترك له حرية
إختيار وزرائه، بل يجب أن ننتخب على طاقم تنفيذي
كامل أي بالقائمة، فتكون الحكومة منسجمة أيديولوجيا

وفكريا، لكن ما دام السلطة التنفيذية أنتخب عليها بالأغلبية المطلقة في دور أو دورين يمكن أن لا تتجاوز 51%، وبالتالي فهي لا تعبّر عن كل الأمة، ولهذا أعطينا للبرلمان قوة أكبر من السلطة التنفيذية، لكن شريطة أن يمثل الأمة كلها بمكوناتها وشرائحها الاجتماعية، لا يكون بنفس الطريقة السائدة اليوم، بل يجب أن يتم على أساس شرائح اجتماعية، فالدائرة الانتخابية هي الشريحة الاجتماعية، فمثلا الأطباء ينتخبون على ممثليهم، ونفس الأمر للجامعيين أو رجال الأعمال وحتى البطالين، وبهذا الشكل فالمجتمع كله يمثل في البرلمان بما فيهم البطالين، ويكون لكل شريحة حق الفيتو في كل مشروع قانون خاص بها، ونعتقد أننا اليوم بحاجة إلى إنشاء نظام سياسي مبهر للآخرين، ويتلاءم مع مبادئ ثورتنا الجزائرية التي يجب أن تضمن الديمقراطية والعدالة الاجتماعية في نفس الوقت، ويمكن العودة بالتفاصيل إلى بعض مقالاتنا ولكتابين المذكورين آنفا، لكن إذا كان يجب أن

نختار بين البرلماني أو الرئاسي، فنعتقد أن البرلماني هو الذي أثبت فعاليته في الكثير من البلدان، ونعتقد أنه لو لم ينقلب بومدين وبن بلة على المؤسسات الشرعية للثورة عام 1962، لكان سينبثق نظاما برلمانيا في الجزائر، لأن مؤسسات الثورة التي وضعها مؤتمر الصومام خاصة المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي كان بمثابة برلمان له السلطة العليا ويجسد سيادة الأمة، والحكومة التي سميت في البداية بلجنة التنسيق والتنفيذ، قبل أن تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية عام 1958 هي مسؤولة أمام المجلس، وهو الذي يعينها أو يقيها، لكن نعتقد أنه لا يكفي الحديث عن أي النظامين أفضل إذا لم نطبق فعليا مبدأ توازن السلطات وإستقلاليتها التامة، خاصة السلطة القضائية كما يقع في أعرق الديمقراطيات كأجلترا التي نظامها برلماني أو الولايات المتحدة الأمريكية التي نظامها رئاسي، وما يؤسف له أن أغلب الجمهوريات في البلاد العربية، ومنها الجزائر متأثرة بشكل كبير بالفكر

السياسي الفرنسي سواء في نظام الحكم أو اليعقوبية أين نحاول بناء أمة على نمطية واحدة مما خلق لنا عدة مشاكل، حتى فكرة اللائكية الفرنسية هي لائكية معادية للدين على عكس لائكية دول أخرى مثل إنجلترا التي هي ضمان الحريات التامة بما فيها حرية المعتقد دون أي عدااء للمعتقدات والأديان، فقد حان الوقت التخلص من هذا الفكر السياسي الفرنسي الذي يبدو اليوم جد متخلف مقارنة ببريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو النظام السياسي السويسري.

لك كتاب، بعنوان: "أسس وميكانيزمات جديدة لدولة مسلمة معاصرة وديمقراطية"، هل يمكن أن توضّح للقارئ الكريم، هذه الميكانيزمات، وهل جمهورية جزائرية ديمقراطية شعبية في إطار المبادئ الإسلامية، كما جاء في بيان أول نوفمبر 1954، معناه دولة إسلامية، مثلما يقول التيار الإسلامي؟

لم أقل إطلاقاً في كتابي بـ "دولة إسلامية"، بل ما قلته هو دولة مسلمة معناه المجتمع المسلم، خاصة وأننا من الذين يرفضون إعطاء عناوين إسلام لدول أو أحزاب، لأنه أخطر شيء يهدد الإسلام ذاته هو هذه الشخصية في أحزاب أو دول، فلو قلنا أن هذه "دولة إسلامية" ثم تعطي صورة كارثية، فهل نقول أن هذه هي صورة الإسلام، بل يجب على كل مسلم أن يدافع عن الإسلام بمنع أي كان يستغله ويستخدمه كعناوين لأحزاب أو دول، كما أنني في هذا الكتاب حاولت أن أوفق والقيام بتوليفة يعاني منها المسلمون اليوم وهي الجمع بين ثلاثية الإسلام والديمقراطية والحدثة، فيجب أن نبرز أننا ممكن أن نكون حدثيين وديمقراطيين دون أن نتخلى عن الإسلام، فحاولت من خلال تأويلي لآيات قرآنية إقناع بعض التيارات عندنا بأن الحدثة والديمقراطية لا تناقضان الإسلام، أي بإمكانني أن أكون حدثياً وديمقراطياً دون أن أتخلى عن إسلامي، ويبدو هذا هو ما قاله بيان أول نوفمبر فالقول

ب "ضمن إطار المبادئ الإسلامية" هي في الحقيقة ليس معناها إقامة دولة إسلامية كما يريد أن يستغلها البعض، ولم يعلم هؤلاء أن ثورتنا هي ثورة وطنية وليست دينية، وشاركت فيها كل التيارات الأيديولوجية المكونة للأمة، فما يقصده البيان هو أن نعيش الحداثة والعصر ويمكن إستيراد أي ممارسات وقوانين شريطة عدم مناقضة المبادئ الكبرى للإسلام، والتي تعد على أصابع اليد، وقد أتفق عليها اليوم المجتمع البشري.

فيكمن لي أن أعيش مثل الأوروبي أو الأمريكي في المجال السياسي أو الإقتصادي وحتى المعيشي، وهذا لا يمنعني من القيام بعباداتي وأركان الإسلام وعدم الإتيان بالمحرمات مثل شرب الخمر أو الزنا أو الكذب والسرقة، وهذا اليوم يتفق العالم حولها، فقد حل هذا المبدأ النوفمبري مشكلة الأصالة والحداثة لدى المسلمين، وليس كما يريد اليوم الكثير جرننا إلى أسئلة ونقاشات بيزنطية عن الحلال والحرام في كل مسألة، وكأننا نعيد نفس قصة البقرة عند اليهود التي رواها

القرآن الكريم لحكمة، أين رفض هؤلاء تطبيق الأمر الإلهي العام بذبح البقرة دون تفاصيل، لكنهم أكثروا الأسئلة في التفاصيل حتى عجزوا عن تنفيذه، ودخلوا في متاهات وتعقيدات لا طائل منها، فأعتقد أن الإسلام لا يحتاج إلى كل هذا التعقيدات، فهو بسيط وحادثي، وقد تحدثت عن هذا في الكثير من مقالاتي وكتاباتي.

نشر بجريدة النصر: 11 جوان 2013.

الروائي والباحث في المسرح عزالدين

جلاوجي:

"المسرح الجزائري أصبح مسرحا ريعيا وليس

فنيا"

يتأسف الكاتب عزالدين جلاوجي لواقع المسرح
الجزائري، الذي تراجع - حسب - بعد انصراف أهله
إلى الاهتمام بالريوع على حساب الفن، الذي كرس له
كاكي، علولة ومجوبي.. حياتهم.

ويعتبر مؤلف النص المسرحي "قلعة الكرامة"؛
بأن المسرح الجزائري ما زال يعاني عجزا نقديا
كبيرا. ويطالب - في هذا الحوار - بالاهتمام بكتابة
النص المسرحي، شعرا ونثرا، كما يدعو وزارة
التربية إلى الاعتناء بالمسرح في منظومتنا التربوية:

"نزاهة العشاق" يعتبر أول نص مسرحي عربي، وهو لكاتب جزائري، هل من تفاصيل أكثر حول هذا النص وقيّمته التاريخية؟

النص بعنوان "نزاهة المشتاق وغصة العشاق في مدينة طرياق في العراق" كتبه صاحبه الجزائري إبراهيم دانيوس ونشره بالجزائر العاصمة سنة 1847، وهو نص مكتوب بلغة عامية متفاححة نوعا ما، يقوم على السجع على عادة الكتابة آنذاك، قسّمه صاحبه إلى لوحات مجريا فيها الحوار بين شخصيات المسرحية، مع اهتمام بالإرشادات الإخراجية أحيانا، مما يجعل منه نصا مسرحيا متكاملا، وهو يدل على أن صاحبه قد اطلع بشكل أو بآخر على تجارب غربية وفرنسية بالأساس، كونه كان موظفا في الإدارة الفرنسية، وهذا يؤهل النص ليحتل الريادة في مسار المسرح العربي على الإطلاق، رغم أنه يتزامن تماما مع ما قدّمه النقاش في الشام، والفرق بينهما أن النقاش عرب نص "البخلاء" لموليير، مما جعل منه ناقلا لا

مبدعا، والاكتشاف يدل على أن التاريخ العربي في مجال الفنون ما زال يحمل إلينا المفاجآت التي قد تقلب كثيرا من الحقائق، ويدل على أن جهودنا المغاربية مازالت تحتاج إلى الكثير من البحث والتنقيب والاكتشاف، والتعريف بها خاصة لإخواننا المشاركة الذين بنوا المشهد الثقافي العربي الحديث وحتى القديم وفق ما توفر لديهم.

إلى جانب ريادة النص المسرحي الجزائري عربيا، للنص الروائي الجزائري الريادة عالميا، إذ يعتبر نص "الحمار الذهبي" لمؤلفه "أبوليوس لوكيوس" أول رواية في التاريخ. كروائي، هل استفاد الأدب الجزائري من هذه الريادة؟

لا يمكن الجزم بأن الحمار الذهبي رواية بمفهومها المعاصر، كون هذا الجنس لم يعرف في أوروبا إلا بعد ذلك، غير أنني أتصور أن الأديب الجزائري العملاق أبوليوس قد كتب في ثقافة أخرى،

وبلغة أخرى، مما يجعله أكثر انسجاما مع الثقافة التي كتب فيها ولها، فالرجل رغم جزائريته التي لا نشك فيها، قد عاش في روما وأثينا، وأخذ علومهم ولغاتهم، وكتب وفق قيمهم الفنية والجمالية، وهو يشبه إلى حد كبير غير العرب الذين أبدعوا ضمن الحضارة العربية، وحتى نص إبراهيم دنينوس المسرحي لا يمكن أن نبني عليه كونه كان نصا يتيما مفردا، كالحمار الذهبي، بمعنى أن المسرح والرواية في الجزائر لم يتحوّلا إلى ظاهرة في الثقافة الجزائرية القديمة.

أما فكرة الاستفادة من هذه الريادة، فهي منعدمة، أولا لأن اكتشاف العاملين كان متأخرا، وثانيا لأن الجزائر لم تبدأ نهضتها الإبداعية إلا في أحضان الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية، وفيهما كان التأثير قويا بالمشاركة، خاصة فيما كتب بالعربية، ونحن مطالبون الآن أن نستفيد من كل موروثنا وثقافتنا وتاريخنا، وأعتقد أن ما قدّم إلى اليوم من جهود إبداعية

جزائرية هو أقل بكثير من الخزان الثري للثقافة الجزائرية.

اختارت الجزائر في بداية الاستقلال التوجه الاشتراكي، وبعد أحداث أكتوبر 1988، تحولت إلى النهج الليبرالي، ما مدى تأثير الأيديولوجيا على المسرح الجزائري ؟

لا شك أن تأثير ذلك كان عميقا وشديدا، سلبا وإيجابا، المسرح قبل الانفتاح كان مسرح قضية، قضية المسرح أولا، وقضية المجتمع ثانيا، لقد حمل رجاله هم إقامة دعائمه وتثبيتته، بل والتجريب فيه محاولين إيجاد مسرح جزائري، كما في جهود علولة مثلا، وقبله الكبار ككاكي وباش طارزي، وحملوا هم المجتمع فكان المسرح منبرا قويا لبناء المجتمع والرقى به، وما نحن فيه الآن للمسرح الجزائري الدور الكبير فيه، دون أن نغفل تأثير ذلك على المستوى الفني والجمالي للمسرح.

المسرح بعد ذلك فقد وهجه، وإن تحرر من قبضة التوجيه والإلزام، لقد صار معظم المسرحيين يبحثون عن المدخول المادي، وانتقل المسرح من قضية قدم من أجلها الرواد الكثير حبا فيه، وإيماننا بدوره، إلى مسرح لتحقيق الريوع، ولعل ذلك يثبت أنه المسرح الجزائري من عقود أصيب بالعقم، فلم يقدم أسماء كبيرة كعلولة ومجوبي رحمهما الله وغيرهما، ولم يحصد الجزائري العربية كما كان يفعل، ولعل قائلا يقول إن ذاك هو ما وقع فيه المسرح العربي كله، أنا أتحدث عن المسرح الجزائري، وهو الذي يهمني بالأساس، وأرجو أن يعود إليه ألقه وعبيره.

لغات المسرح في الجزائر متعددة (عربية، أمازيغية، فرنسية)، هل اختلاف اللغة يقابله اختلاف المواضيع المعالجة من لغة إلى أخرى ؟

كان أسلافنا الرواد يبتعدون عن استعمال الفرنسية كونها كانت آنذاك منفذا للاستعمار وثقافته،

حتى وهم يستلهمون هذا الفن من الفرنسيين أنفسهم، بل وبحضورهم، مما جعل هذا الآخر ينظر إليهم بإكبار، لقد كانوا يكتبون مسرحهم بالعربية حتى لو كانت عامية، بل إن النص المسرحي الجزائري نشأ في الجزائر أواسط الثلاثينات من القرن الماضي فصيحا ابتداء من جهود على طاهر، والأمر ذاته بالنسبة للغتنا الأمازيغية التي دخلت المسرح بعد ذلك بقوة، وهما لغتان عبرتا وما زالتا عن كل همومها وأحلامنا وآلامنا، ومهما يكن فإن اللغة المستعملة لا يعني أبدا اختلاف المواضيع المطروقة، لأن المعبر واحد وهو الإنسان الجزائري بقيمه وانتماؤه، ويمكن الاستدلال على ذلك بالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، لدى الأدباء الجزائريين الرواد.

ينادي بعض النقاد بمسايرة نقدية جادة للأعمال المسرحية، كيف هو حال النقد المسرحي في الجزائر؟
وتلك ثلاثة الأثافي كما يقال، ما زال المسرح الجزائري يعاني عجزا نقديا كبيرا، ومعظم ما قدم إما أنه نقد أدبي يرتبط أساسا بالنص، أو على أبعد تقدير يهتم بالتأريخ للمسرح الجزائري، أما دون ذلك فلا شيء يذكر، ليس هناك اهتمام نقدي بالمسرح على الخشبة، وليس هناك تطبيق للمناهج النقدية الجديدة على المسرح نصا وركحا، وأعتقد أن سبب ذلك هو إبعاد المسرح عن الجامعات، وهو عن التعليم العام أبعد.

لك كتاب حول النصوص المسرحية المغاربية، أين تضع النص المسرحي الجزائري مغاربيا وعربيا؟
لي كتاب بعنوان "النص المسرحي في الأدب الجزائري"، رصدت فيها تأريخيا وجماليات النص المسرحي في الجزائر، ابتداء من جهود علي طاهر،

ثم أصدرت كتابا آخر باتحاد الكتاب العرب بعنوان "شطحات في عرس عازف الناي"، قاربت فيه نص تحولات عازف الناي للكاتب العربي الكبير علي عقلة عرسان، وأصدرت العام الماضي كتابا آخر بعنوان "المسرحية الشعرية في الأدب المغربي المعاصر"، وأكملت كتابا آخر أخذ مني جهدا كبيرا لعله سيرى النور قريبا، كما صدرت لي ثلاث عشرة مسرحية للكبار، وأربعون مسرحية للصغار، وأنتظر هذه الأيام صدور نصوص جديدة ستكون حاضرة بالمعرض الدولي للكتاب.

ومهما يكن فإنني أستطيع أن أؤكد أن ما يكتب في الجزائر من نصوص مسرحية هو أقل بكثير مما يكتب في دول مغربية أخرى، يأتي المغرب الأقصى في المرتبة الأولى، وقد شهد حركة إبداعية كبيرة، على مستوى كتابة النص المسرحي، وعلى مستوى النقد المسرحي، ويكفي أن نذكر الأستاذ الدكتور عبد الكريم برشيد، مؤسس الاحتفالية، ونذكر عبد الرحمن بن

زيدان، وللإخوة في تونس جهود رائعة أيضا، لقد تحول محمود المسعدي منذ السد إلى مدرسة، ولجهود عز الدين المدني حضورا قويا ومتميزا، ليس مغاربيا فحسب بل عربيا أيضا.

وهو الذي مازلنا نفنقده في الجزائر، إن معظم كتاب المسرح عندنا جاءوه من خارجه، كالتاريخ مثلا (أحمد توفيق المدني) ، أو الرواية (الطاهر وطار)، أو الشعر (محمد العيد)، ما زلنا بحاجة إلى اهتمام بكتابة النص المسرحي، شعرا ونثرا.

بعض النصوص المسرحية الجزائرية مستلهمة من التراث، مثل تجربة المرحوم عبد القادر علولة، هل نظر المسرح الجزائري للتراث كشيء حي فيه ما يفيد حاضرا ومستقبلا أم كجزء من الماضي فقط ؟

لا يمكن إصدار حكم عام على كل ما قدم، ولكن لابد من دراسة كل تجربة منفصلة، فالتراث والتاريخ، يمكن أن يحضرا كما هما، وإن كان هذا الحضور لا

يمكن بأي حال من الأحوال أن ينفصل عن الواقع، فكل كتابة للماضي أو للتراث هي كتابة بشكل أو بآخر للحاضر أيضاً، غير أن المسرح في كثير من محطاته امتطى التراث وأمتطى التاريخ، ليقول غير ذلك، ليقول الحاضر والمستقبل، ومثال ذلك حضور جحا من التراث، أو حضور المتنبي وصالح الدين وغيرهما من التاريخ.

يعتبر مسرح الطفل المدرسة الأولى لتعلم قواعد المسرح، كيف هو واقع مسرح الطفل في الجزائر، في ظل غياب المسرح المدرسي ؟

وهذا مصيبتة أدهى وأمر، ورغم المحاولات التي يقوم بها الإخوة المخرجون والممثلون، وبعض الأدباء وهم قلة، فإن جهود التأليف قليلة جداً، لقد صدر لي أربعون نصاً مسرحياً عن وزارة الثقافة، وأسعى هذه الأيام لإعادة كتابة هذه النصوص وإضافة نصوص جديدة لأساهم في سد هذا الفراغ، رغم ذلك أدعو

الإخوة الأدباء إلى الاهتمام بالكتابة للطفل، وأدعو وزارة التربية إلى الاهتمام بالمرح في منظومتنا التربوية، إما بتحديد حصة خاصة به على غرار الموسيقى والرسم مثلا أو دمجهم جميعا في حصة باسم حصة الفنون، المهم هو العمل على عودة المسرح إلى المدرسة، والتشجيع على الكتابة للطفل.

إلى جانب البحث في المسرح، تكتب الرواية،
ماهي آخر مشاريعك الروائية ؟

أصدرت حتى الآن خمس روايات، هي "الفراشات والغيلان"، "سرادق الحلم والفجيرة"، "راس المحنة $1+1=0$ "، "الرماد الذي غسل الماء"، "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، أعكف هذه الأيام على كتابة رواية جديدة، كما أستعد لخوض غمار كتابة الجزء الثاني من "حوبه"، ولأن الجزء الأول غطى الحركة الوطنية، فإن الجزء الثاني سيغطي الثورة التحريرية.

وماذا عن جديك في الكتابة للمسرح ؟

أخبرتكَ عن جهدي النقدي الذي أكملته من أيام،
إضافة إلى سلسلة نصوص سترى النور في المعرض
الدولي للكتاب وهي سبعة كتب، إضافة إلى اختيار
نصي "حب بين الصخور"، ليرى النور على خشبة
المسرح.

نشر بجريدة النصر: 01 أكتوبر 2013.

الباحث في الفلسفة حميد زناز:

"في الجزائر استوردنا تراثا وتاريخا وتركنا

تراثنا وتاريخنا"

"الأصولية أخطر من الاستعمار، لأنها في خدمة

التخلف والانسداد"

ينفي الباحث في الفلسفة حميد زناز - في هذا

الحوار- وجود نخبة حقيقية في الجزائر، ويرى بأنها -

أي النخبة - لابد أن تتشكل من نخبتين يمينية

ويسارية. ويعتقد صاحب كتاب "الأصولية كما

فسرتها لابنتي"، بضرورة إبعاد الدين كلية عن

الصراع السياسي، ويقول بأن المجتمع الجزائري

تفطن إلى ألعيب الأصولية.

للباحث مجموعة من المؤلفات، باللغتين العربية

والفرنسية، منها:

- المعنى والغضب. مدخل إلى فلسفة سيوران.

- فصل المقال في مواجهة أهل الظلام،
منشورات دار الساقى ورابطة العقلايين العرب. وقد
ترجم إلى اللغة الكردية.

- أسفار العقل أسئلة فلسفية راهنة / موزع مع
جريدة الرافد، أوغسطس 2013.

- في نشأة الكون والحياة والانسان/ إعداد
وترجمة/ منشورات الاختلاف / منشورات ضفاف /
دار الأمان 2013..الخ.

توجد أمكنة قدّمت للثقافة الجزائرية أسماء
كثيرة مثل: أزفون بتيزي وزو، أمسيردا بتلمسان،
عين البيضاء بأم البواقي، قمار بوادي سوف..، كما
توجد أمكنة أخرى لم تقدم شيئا لهذه الثقافة، ماهي
العوامل التي تقف وراء خصوبة أو عقم المكان ؟

على أهمية الأمكنة التي ذكرت وما قدمته من
أسماء، لا يمكن القول بأن هناك أمكنة عقيمة لم تقدم
شيئا للثقافة الجزائرية، إذ يمكن أن أذكر قرى أخرى

غير التي تتحدث عنها قدّمت هي الأخرى كتابا كبارا وفنانين وسياسيين. فعلى سبيل المثال هل تعرف أن رشيد ميموني وبوعلام صنصال وأحمد محساس هم من جهة واحدة ببومرداس ؟ فمن غير المعقول الحكم على مكان ما بالعقم أو بالخصوبة بشكل مطلق. فأن يولد كاتب أو حتى كتاب أو فنانين في مكان ما، فهذا لا يعني أن الكاتب أو الفنان هما من صنع ذلك المكان، فمثلا لو بقي أمين الزاوي وواسيني الأعرج في أمسيردا والطاهر جاووت في أزفون وسعد الله في قمار.. ولم ينتقلوا إلى وهران والجزائر العاصمة ودمشق وفرنسا..الخ. هل كانوا سيصبحون الأدباء والباحثة الذين نعرفهم اليوم ؟ ولئن تحدثت الأسطورة عن عبقرية بعض الأمكنة كوادي عبقر... فالزمان هو الذي يشكل الإنسان، بمعنى النشاط الإنساني فوق المكان..

للنخبة (الأنتلجاسيا) خصائص تميّزها عن غيرها من فئات المجتمع، ماهي المعايير المعتمدة لتصنيف شخص ما ضمن هذه الفئة ؟

بعيدا عن التنظير والتعريف الأكاديمي.. ليس هناك نخبة حقيقية في الجزائر، بمعنى تلك الفئة المستقلة الواعية بذاتها التي تساهم في دفع المجتمع إلى مرحلة جديدة، إلى إصلاح ما يجب إصلاحه وتجاوز ما يجب تجاوزه. ولكن النخبة لا تتكون كالجمعيات بقرار أو باتفاق أو تجمع.. هي وليدة حراك اجتماعي وفكري وعلمي وصراعات اجتماعية وسياسية وطبقية.. لا يمكن الحديث عن نخبة دون مراكز بحوث ومجالات متخصصة ودوريات.. الخ. ولكن هذا لا يعني عدم وجود مثقفين مبدعين ولكن تبقى اجتهادات فردية.. مثلا في علم الاجتماع نجد الأستاذ ناصر جابي يحلل ويدرس وينشر ولم يعد باحثا في علم الاجتماع فحسب بل عالم اجتماع.. و هذا لا يعبر إطلاقا عن وضع علم الاجتماع في جامعات الجزائر.. ونحن

نعرف الوضع الذي وصلت إليه الجامعة الجزائرية.. ويمكن أن أذكر لك تجارب أخرى في كل الميادين. وعموما لا يمكن أن نتحدث عن نخبة وإنما عن نخبتين: في البلدان المتقدمة نخبة اليمين ونخبة اليسار.. في الجزائر وفي البلدان العربية التي تعاني من هجمة أصولية شرسة منذ عقدين، أصبح الصراع قائما بين "نخبة" أصولية تسيطر على المشهد مستعملة كل وسائل ومرافق الدولة ولا تنتج جديدا، بل تحاول تحويل الجديد إلى قديم و"نخبة" حديثة تعيش مهمشة بل كدت أقول في السرية.

اختلاف خلفية ولغة التكوين، ألا يؤدي ذلك إلى الاختلاف حول مشروع المجتمع ؟

قديمًا كان يتخرج المعربون من مدارس قرآنية وكان حتميا أن يؤثر ذلك على رؤيتهم للعالم. أما اليوم فالأمر مختلف. ستجد من يدعو إلى دولة أصولية وهو مفرنس وستجد من يدعو إلى العلمانية وهو محسوب

على المعربين.. الخ. في فرنسا مثلاً يعتقد الإعلاميون أن كل المفرنسين هم من دعاة الدولة العلمانية وهذا أمر مضحك فعلاً.. وبغض النظر عن هذا كله فمالك بن نبي كان مفرنسا ودرس بفرنسا وعبد الله شريط كان معرباً ودرس بالمشرق. ولكن كان الأول إسلامياً والثاني علمانياً.

كيف نظرت النخبة في الجزائر إلى: السلطة، الدين، تعدد اللغات، التراث، المرأة ؟

في الجزائر استوردنا تراثاً وتاريخاً وتركنا تاريخنا وتراثنا.. هل يعقل أن نعلم في مدارسنا الأطفال أن أجدادهم عاشوا مرحلة تسمى "الجاهلية" ! حول مسألة السلطة يكفي ملاحظة ما يجري على الساحة السياسية لتجد أن البعض يلحق الأحذية وقلة لا تساوم أبداً والأغلبية صامتة تنتظر المنتصر لتلتحق به.. أما عن تعدد اللغات، فهو أمر أصبح واقعاً.. والمرأة جعلها قانون الاسرة مواطنة من الدرجة الثانية وهذا لا يقلق

ما تسميه "النخبة". أما عن الدين، فالقليل جدا من ينظر إليه على أنه إيديولوجيا مثل الإيديولوجيات الأخرى وربما تلك هي أم المشاكل..ومادام لم يحدث توافق حول إبعاد الدين كلية عن الصراع السياسي سنبقى خارج الدولة المدنية الحديثة.

المرأة المثقفة، ما مكانتها ضمن هذه النخبة ؟

في الجزائر لا قانون يمنع النساء رسميا من التعلم والعمل..الخ. ولكن تبقى المسألة اجتماعية ومتعلقة بالدين الذي يحدد من دور المرأة بل يسلبها مواطنتها كليا، ولو أن المواطنة تبقى منقوصة حتى بالنسبة للرجال في دولة غير مدنية.

بعد رحيل: مالك بن نبي، عبد المجيد مزيان، عبد الله شريط، محمد أركون، عمار بلحسن، جيلالي اليابس، أحمد بوخبزة، محفوظ بنون، عبد القادر جغلول، كاتب ياسين، الطاهر وطار..، هل توجد أسماء تستطيع تعويض الأسماء الراحلة ؟

ومصطفى الأشرف ومولود معمري وغيرهم الكثير.. القائمة القصيرة جدا التي تفضلت بها تدل على التنوع الفكري والفلسفي واللغوي الموجود في الجزائر رغم الأحادية السياسية الرسمية التي تسود منذ الاستقلال. أما عن إمكانية تعويض الأسماء الراحلة، فهذا من المستحيل إذ تجربة صاحب "نجمة" مثلا لن تتكرر أبدا لأن ظروف إبداعها لن تتكرر.. ولكن ستظهر حتما بل ظهرت فعلا أسماء أخرى سيكون لها شأننا أيضا. أما عن محمد أركون فلا أعرف لماذا وضعته في القائمة.. الرجل أهين من قبل شيخين أصوليين مصريين هنا في الجزائر أمام السلطات الرسمية التي كانت تعشقهما.. وأمضى حياته كلها في فرنسا وهو مدفون في المغرب.. كان منفيًا حيا وهو اليوم منفي ميتا !

على ذكر "الشيخين الأصوليين"، أصدرت خلال، سنة 2013، كتابا بعنوان "الأصولية كما فسرتها لابنتي"، حيث تعتبر الأصولية الإسلامية

استعمارا جديدا يهدد كيان العالم العربي، هل من توضيح أكثر للفكرة ؟

لقد ظهر جليا أنها في خدمة التخلف والانسداد. تجربتنا في الجزائر أثبتت أنها تهدف إلى تركيع الشعب الجزائري ومسح ثقافته وتغيير طبيعته، وهي أخطر من الاستعمار لأنها تستعمل الدين وهو أمر عزيز جدا على قلوب الجزائريين ومن هنا تستطيع أن تخدعهم وهو ما لم يستطع الاستعمار الوصول إليه. ولكن يبدو أن المجتمع الجزائري تفتن إلى الأعياب الأصولية وأدرك أنها دخيلة ولا علاقة لها بهويته الوطنية. لقد حاولت أن أبين خطورة الأصولية أو ما يسمى تلطيفا بـ "الإسلام السياسي" في أكثر من كتاب باللغتين.

نشر بجريدة النصر: 25 مارس 2014.

عن المحاور

نور الدين برقادي

كاتب صحفي

- من مواليد 12 مارس 1972م، بدوار زلاطو الشمالي (باتنة).
- ليسانس تاريخ، جامعة قسنطينة 1995م.
- مؤدي لواجب الخدمة الوطنية، برتبة ملازم (1996-1998).
- ضابط إدارة السجون (1998-2006)، ثم استقال.
- درّس بمراحل التعليم الثلاث: الابتدائي، المتوسط، الثانوي، بولايي باتنة وخنشلة.
- حاليا، أستاذ التعليم المتوسط، بمتوسطة الشهيد تاج الدين بن عمران (مدينة خنشلة).
- صحفي مستقل، كتب في عدة جرائد ومجلات ومواقع إلكترونية: الخبر الأسبوعي، اليوم، النصر، الجزائر نيوز، تويزا (المغربية)، مجلة تراث (الإماراتية)، مجلة أصوات الشمال الإلكترونية..
- أحد المؤسسين الثلاثة لمجلة "صدى خنشلة".

للتواصل:

العنوان البريدي: متوسطة الشهيد تاج الدين بن عمران، طريق العيزار، مدينة خنشلة.

الهاتف: 06.68.76.48.34

E-MAIL: bergadi.noureddine@gmail.com

[www.facebook.com.noureddine.bergadi](http://www.facebook.com/noureddine.bergadi)

صدر في هذه السلسلة

- 1- حميد عقبي. الرصيف السينمائي: حوارات مع 25 شخصية سينمائية. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، فبراير 2016

<http://www.mediafire.com/?6e77rs90att8t99>

- 2- حميد عقبي: محاولة لتشخيص أزمة المسرح العراقي. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، أبريل 2016.

<http://www.mediafire.com/download/a2u2v9irt71r4ae/%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%B9%D9%82%D8%A8%D9%8A%D8%8C%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%84%D8%A9%D9%84%D8%AA%D8%B4%D8%AE%D9%8A%D8%B5%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%B1%D8%AD%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%8C%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9.pdf>

- 3- نور الدين برقادي: حوارات ومواقف في الفكر والأدب والتاريخ. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، أبريل 2016.

فهرس

العنوان	الصفحة
إهداء	4
مقدمة	5
مسعود مزهودي، باحث متخصص في تاريخ المذهب الإباضي	7
الباحث في الفكر الأركوني الأستاذ فارح مسرحي:	29
الكاتب السعيد بوطاجين	43
الباحث في العلوم السياسية الدكتور سليم قلالة	60
الباحث في علم النفس د. أمحمد زردومي	76
الباحث في تاريخ الجزائر الأستاذ صلاح الدين تيمقلين	87
الباحث الأنثروبولوجي الدكتور مختار رحاب	104
الباحث في التصوف سعيد جاب الخير	113
الباحث في تاريخ يهود الجزائر والغناء الأندلسي فوزي سعد الله	145
الكاتب والباحث في الثقافة الأمازيغية د. محمد أرزقي فراد	178
الروائي بشير مفتي	196
الشاعر والمترجم عمر أزراج	206
الباحث في الفكر العربي الأستاذ أحمد دلباني	219
صاحب كتاب "رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ" د. رابح لونيبي	242
الروائي والباحث في المسرح عز الدين جلاوي	259

272	الباحث في الفلسفة حميد زناز
281	عن المحاور
283	صدر في هذه السلسلة